باسل شيخو

تجارب وخبرات

قد تُغيّر مسار حياتك

دار القلم
دمشق

تجارب وخبرات

قد تُغيّر مسار حياتك

دار القلم
دمشق

أسّسها:
محمد علي دولة
سنة ١٩٦٧م

الطبعة الرابعة
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

تجارب وخبرات

قد تُغيّر مسار حياتك

باسل شيخو

دار القلم
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الذين رشحت قلوبهم من وراء كلماتهم..

بنقطة حبر صغيرة..

سقطت كقطرة ندى فوق فكرة..

فجعلت الآلاف..

وربما الملايين..

يفكرون بأفق إيجابي جديد..

أهدي هذا العمل

لواء..ومدخل

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، وأُصلي وأُسلم على سيد الخلق والمرسلين سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، ونهج نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

رغم قناعتي التامة ما للمقدمة وكتابتها من أهمية بالغة، سواء للقارئ العادي أو المثقف الكبير.. إلا أنني قد وجدت أنه من الأنسب لهذا البحث وطبيعة موضوعه بالتحديد، أن يندرج تحت راية من قال: **لا تكتب مقدمة، لأن النقاد يهتمون بالمقدمة، ويهملون الباقي!** وهذا ما لا أتمناه في الحقيقة أن يكون.

ولعله من الأجدر والأنفع والأهم ـ فيما أحسبه خيراً كبيراً للأمة بأسرها إن شاء الله تعالى ـ أن تكون دعوة الدكتور الفاضل السيد عبد الوهاب المسيري ـ حفظه ربي ـ في كتابه المسمى (رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر)، هي بمثابة لواء ومدخل لهذا العمل.. لا مقدمة له.

نص الدعوة الدافئ:

«... إني لأتوجه بالدعوة للمفكرين العرب إلى أن يكتبوا سيرهم غير الذاتية

التي تحتوي على تلخيص لأفكارهم وبذورها وكيفية تشكلها؛ **ليضعوا خبرتهم تحت تصرف الأجيال الجديدة**.

ومما يجعل المسألة أكثر إلحاحاً هو **تعاظم الفجوة** بين الأجيال مما يؤدي إلى عدم توارث **الحكمة والمعرفة، وأخشى ما أخشاه أن تبدأ الأجيال القادمة من نقطة الصفر**».

ألا هل بيّنت.. اللهم فاشهد...

دمشق ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

١٧ نيسان ٢٠٠٦م

باسل شيخو

وإشارة استفهام تضيء... لماذا التجارب والخبرات؟
إن كنت رأيت أبعد من غيري... فلأنني وقفت على أكتاف العمالقة

‹إسحاق نيوتن›

أصْدُقكم إن قلت لكم: إنه لسؤال من فضة، وقد تناهى هذا السؤال إلى سمعي أثناء عملي في هذا الكتاب، ولولا هذا الاستيضاح القيّم، لما كان ثمة إجابة. ويدعّم هذا الذي قلت رأي أفلاطون القائل: «**في بعض الأحيان يكون السؤال أكثر أهمية من الإجابة**». ذلك أن السؤال يمكننا من رؤية زوايا جديدة في أي موضوع كان، لم نكن نراها من قبل، أو نراها، ولكن ليس بالحجم والشكل المطلوب. ولكون هذا الاستفهام قد صُنّف من معدن الفضة، فلا أقلَّ إذاً أن تكون إجابتي عليه وعلى أشباهه من زمرة الياقوت والذهب، فأما:

- **الجوهر الأول:**

فلقناعة متجذرة في العقل، تبين أن أعدل الشهود التجارب، ففيها العلم المستأنف.

- **والجوهر الثاني:**

لمثلين محفورين في الذاكرة؛ مفادهما: أن العواقب في يدِ ذي التجارب، ولسان التجربة أصدق.

- **والجوهر الثالث:**

أن العين لا تشهد نفسها إلا بمرآة.. كما أن النفس لا ترى شخصها إلا برأي عدوٍّ أو مجربٍ أو صديق.

● **والجوهر الرابع:**

لخطوة جريئة نحو هندسة أنفسنا بهدوء.. ولكن خارج أسوار حياتنا المتسارعة، وصخبها العالي.

● **والجوهر الخامس:**

حتى تكون محاكماتنا للأمور أكثر عمقاً.. ونظرتنا للأشياء في غاية الشمول والاتساع.

● **والجوهر السادس:**

لكي نقف على هرم المعرفة ونتدبره.. عسى أن نشهد شمس حياتنا وهي تشرق من جديد.

● **والجوهر الأزلي:**

لقول الحق جلّ اسمه في سورة فاطر: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

* * *

دوّن... فلكل فائدة وقتها ونفعها
من يكتب يقرأ مرتين

‹مثل إيطالي›

تمنح الحياة لعموم الإنسانية ما بين بزوغ شمس كل يوم وغروبها ما لا يُقدر بثمن من كنوز الفوائد والعبر، وتحمل هذه الفوائد وتلك العبر بين ثناياها من سمو المعرفة.. ورقيّ الأدب والحكمة.. الشيء الكثير.

ومع هذا كله نجد أن غالبية المِنح تضيع سدىً ، وتذهب أدراج الرياح، دونما نفع. وهنا يتبادر إلى الذهن استفهام: ما الثغرة الأُم التي نقع فيها ـ يا ترى ـ دون أن ندري؟.

أهي نقصٌ في الخبرة؟ أم زهد في الأمر، وغفلةٍ عنه؟ أم كلاهما معاً؟.

وقد اهتديت لإجابة عن هذه النقطة الهامة لشيخ الشام وعالمها «جمال الدين القاسمي» رحمه الله، وهوَ من هو في سعة اطلاعه، وغزارة علمه، وبُعد نظره.

يقول الشيخ الجليل: (لو كان خلفنا كسلفنا في المحافظة على كتابة الفوائد المهمة التي كانوا يسمعونها من أفواه علمائهم الفطاحل، لكان خلفنا قد جمع مجلدات من هذه الأفواه **قد ضاعت لعدم حرصهم عليها**).

وينتقل الشيخ من العموم إلى الخصوص مضيفاً: (ولو جمع كل واحد منا كل ما سمع أو قرأ من المسائل والفوائد المهمة، لتم جمع أعظم مما دوّن في كتب الأدب والدين).

ولا مانع في هذا السياق من الاستدلال بهذه الحادثة الطريفة:

فقد روي أن الأصمعي كان له تلميذ يلازمه ويحرصُ كل الحرص على كتابة الفوائد منه، فتضايق صدر أستاذه منه من كثرة كتابته، فقال له: «أنت كالحفظة تكتب كل لفظة»! فقال له تلميذه: وهذه أيضاً تكتب يا سيدي!.

وأظن ظنّاً أشبه بيقين أن لو سمع ذاك التلميذ بهذا القول: «**من لم يهده قليل الإشارة.. لم ينفعه كثير العبارة**» لكتبه على الفور، ثم راح يتأمله.

* * *

آلية التنفيذ المقترحة للتوثيق

• أولاً: تدوين الفائدة:

مثال عملي:

كان المأمون يوصي بعض بنيه فيقول: اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وحدّث بأحسن ما تحفظ.

• ثانياً: مصدر الفائدة:

اسم الكتاب:	القلائد من فرائد الفوائد	رقم الصفحة:	٧٤
اسم المجلة:	.....	رقم الصفحة:	.....
اسم الجريدة:	.....	رقم الصفحة:	.....
اسم القناة:	.....	اسم البرنامج:	.....
اسم الإذاعة:	.....	اسم البرنامج:	.....
اسم المحاضرة:	.....	مكانها:	.....
اسم الندوة:	.....	مكانها:	.....
اسم ورشة العمل:	.....	مكانها:	.....
اسم السيد:	.....	مكان السماع:	.....
اسم السيدة:	.....	مكان السماع:	.....

● **ثالثاً: تاريخ الفائدة:**

يوم الأحد ٢٠ ـ صفر ـ ١٤٢٧هـ

الموافق لـ ١٩ ـ آذار ـ ٢٠٠٦م الساعة: ١٠,٣٠ صباحاً

● **رابعاً: ملاحظات خاصة:**

- .....
- .....
- .....
- .....

وتذكر دائماً: أنَّ لكل جهدٍ منظم عائد مضاعف.

* * *

رسالة قصيرة

عندما يكون الحق هو المبتغى . .

والارتقاء هو المنشود . .

فلتضع نفسك من وراء عقلك . .

متجرّداً عن الأهواء . .

ثم احمل الكتاب بيدين عطوفتين . .

واقرأ حصاد السنين . .

بعقلية الانفتاح والاستيعاب . .

القائمة على قاعدة

«انْظُر إلى ما قيل لا من قال»

ولكن ضمن إطار:

الحكمة والاتزان . . والروية والهدوء .

القسم الأول

في إطار الخبرة الاجتماعية

١

موقفي من الناس

الأستاذ عباس محمود العقّاد

علمتني الحياة خطتين في سياستي مع الناس.. خطة أتبعها فيما يصيبني من الناس، وخطة أتبعها فيما يصيب الناس مني، **فاسترحت كثيراً من تبديد شعوري في غير طائل**، وعرفت كيف يكون الاقتصاد في إنفاق **ثروة الحياة**.

أما خطتي فيما يصيبني من الناس، فهي أن أتناول طباعهم وأخلاقهم جملة واحدة.. ولا أفرق بينهم على حسب اختلاف الأشخاص والأفراد.

كان الخلق الواحد في مبدأ الأمر يسبب لي الألم وخيبة الرجاء عشرات المرات بل مئات المرات.. وكنت في كل مرة أشعر بصدمة المفاجأة كأنني أكتشف شيئاً جديداً لم أتوقعه من قبل.

ثم تعودت مع الزمن أن أجعل للناس جميعاً **حساباً واحداً في رصيد المكسب والخسارة**، فهبطت الخسارة كثيراً على الأقل.. وهذا في ذاته مكسب معدود.

تعودت أن أجمع الأخلاق إلى أنواعها، وأن أضع كل نوع منها تحت **عنوانه**، في الناس أنانية.. في الناس صغار.. في الناس سخافة.. في الناس نقائص وغرائب.. وهكذا، وهكذا.. إلى آخر هذه المألوفات التي توارثناها نحن أبناء آدم وحواء، فليس فيها من جديد.

فإذا أصابني من الناس شيء مكدر رجعت به إلى عنوانه، فوجدته مسجلاً هناك ولم يفاجئني بما لا أنتظر. في الناس أنانية.. في الناس صغار.. نعم.. نعم.. وماذا في ذلك؟ ألم تعلم هذا من قبل؟ بلى، علمته مرة بعد مرة.. **فما وجه الاستغراب، ولماذا الألم والشكوى؟!**.

وراقبت نفسي طويلاً فوضعت نفسي في القائمة.. وتعودت أن أقول لها كلما أصابها ما يكدرها: «**وأنت أيضاً كذلك**». فلا محل **للحساب والعتاب**.

أما خطتي فيما يصيب الناس مني، فهي أن أسأل نفسي كلما شعرت بسخطهم أو انتقادهم: «**هل الأمر يعنيني؟**»، وبعبارة أخرى: «**هل يضيرني أن أفقد رضاهم؟ وهل يعيبني أن أفقده؟**».

فإذا كان في الأمر ما يضير أو ما يعيب فالأمر يعنيني، ولا بد من معالجته بما أستطيع وإلا فلا وجه للتعب والاكتراث، وعولت دائماً على **المقياس العملي، لأن الجري وراء النظريات لا ينتهي إلى غاية**.. فكنت أضع أمامي على الدوام خمسة أو ستة من الذين أعرفهم، وأعرف أنهم من أصحاب الحظوة عند الناس، وأن الناس لا يسخطون عليهم ولا ينتقدونهم فأتساءل: «هل يسرك أن تكون مثلهم، وأن تحصل على الرضا كما حصلوا عليه؟»..

وكان جواب هذا التساؤل نافعاً لي على الدوام، لأنه يحدد لي العمل اللازم، أو يعفيني من كل عمل، ويبين لي في معظم الأحوال أن **ثروة الرضا والثناء عملة زائفة** أو عملة صحيحة على أحسن الوجوه.

ولكن الاستغناء عنها غير عسير.

ومن التجارب الكثيرة في الأشخاص الذين عرفتهم حق المعرفة، تبين لي أنهم يحتالون، ويتعبون عقولهم وضمائرهم في الاحتيال **طلباً للشهرة** التي لا تهمهم لذاتها، ولكنها تهمهم لغاية يصلون إليها من ورائها.

وحمدت الله لأن تلك الغاية لا تهمني أنا، ولا تستحق عندي أن أبذل فيها أقل

تعب حتى لو استطعته كل لحظة، وكنت كمن يتمنى نصيباً من المال ليشتري به شيئاً، ثم علم أن الشيء لا يستحق الشراء، فاستغنى عن المال واستغنى عن تمنيه.

خطتان سهلتان: خطة مع الناس وهي أن أجمعهم جملة واحدة.. وخطة مع نفسي وهي أن تقصر جهودها وهمومها على ما يعنيها.

فمن استطاع أن يتعلمها فليتعلمها.. **إن كانت تعنيه!!..**

* * *

٢

الحياة الذاتية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي

أكثر الناس يعيشون في نفوس الناس أكثر مما يعيشون في نفوس أنفسهم أي أنهم لا يتحركون ولا يسكنون، ولا يأخذون ولا يدعون إلا **لأن الناس هكذا يريدون**.

حياة الإنسان في هذا العالم حياة ضمنية مدّخلة في حياة الآخرين، فلو فتش عنها لا يجد لها أثراً إلا في عيون الناظرين، وآذان السامعين، وأفواه المتكلمين.

يخيل إليَّ أن الإنسان لو علم أنه سيصبح في يوم من أيام حياته وحيداً في هذا العالم لا يجد بجانبه أذناً تسمع صوته، ولا عيناً تنظر شكله، ولا لساناً يردد ذكره؛ لآثر الموت على الحياة عله يجد في عالم غير هذا العالم ـ من آذان الملائكة أو عيون الجنة ـ مقاعد يقتعدها فيطيب له العيش فيها.

إذا كانت حياة كل إنسان متلاشية في حياة الآخرين، فأي مانع يمنعني من القول بأن تلك الحياة التي نحسبها متكثرة متعددة، إنما هي حياة واحدة يتفق جوهرها، وتتعدد صورها، كالبحر المائج نراه على البعد فنحسبه طرائق قدداً، ونحسب كل موجة من أمواجه قسماً من أقسامه، فإذا دنونا منه لا نرى غيره، ولا نجد لجزء من أجزائه حيزاً مستقلاً، ولا وصفاً ثابتاً.

لا يحيا في هذا العالم حياة حقيقية، إلا ذلك الشاذ الغريب في شؤونه وأطواره

وآرائه وأعماله، الذي كثيراً ما نسميه مجنوناً، فإن رضينا عنه بعض الرضا سميناه فيلسوفاً، ونريد بذلك أنه نصف مجنون، فهو الذي يتولى شأن الإنسان، وتغيير نظاماته وقوانينه، وينتقل به من حال إلى حال بما يغير من عاداته ويحول من أفكاره.

أية قيمة لحياة امرئ، لا عمل له فيها إلا معالجة نفسه على الرضا بما يرضى به الناس، فيأكل ما لا يشتهي، ويصدف نفسه عما تشتهي، ويسهر حيث لا يستعذب طعم السهر، وينام حيث لا يطيب له المنام، ويلبس من اللباس ما يحرج صدره، ويقصم ظهره، ويشرب من الشراب ما يحرق أمعاءه، ويأكل أحشاءه، ويَضحك لما يُبكي ويَبكي لما يُضحك، ويبتسم لعدوه، ويقطب في وجه صديقه، وينفق في دراسة ما يسمونه علم السلوك ـ أي علم المداهنة والملق ـ زمناً **لو أنفق عشر معشاره** في دراسة علم من العلوم النابغة لكان نابغته المبرّز فيه حرصاً على رضاء الناس، وازدلافاً إلى قلوبهم.

ليست شهوة الخمر من الشهوات الطبيعية المركبة في غرائز الناس؛ فلو لم يذوقوها لما طلبوها ولا كلفوا بها، وما جناها عليهم إلا كلف تاركيها برضاء شاربيها، وما كان الترف خلقاً من الأخلاق الفطرية في الإنسان ولكن كلف المتقشفون برضاء المترفين فتترفوا، فحملوا في ذلك السبيل من شقاء العيش وبلائه وأثقال الحياة وأعبائها، ما نغص عليهم عيشهم **وأفسد عليهم حياتهم**، وإنك لترى الرجل العاقل الذي يعرف ما يجب ويعلم ما يأخذ وما يدع، يبيع منزله في نفقة عرس ولده أو ابنته، فلا تجد لفعله تأويلاً إلا **خوفه من سخط الناس واتقاءه مذمتهم، وكثيراً ما قتل الخوف من سخط الناس والكلف برضاهم ذكاء الأذكياء، وأطفأ عقول العقلاء! وكم رأينا من ذكي يظل طول حياته خاملاً متلففاً لا يجرؤ على إظهار أثر من آثار فطنته وذكائه مخافة هزء الناس وسخريتهم! وعاقل لا يمنعه من الإقدام على إصلاح شأن أمته وتقويمها إلا سخط الساخطين ونقمة الناقمين!**.

وما أعجبت برجل في حياتي إعجابي بأديب من أدباء هذه الأمة، يكتب الرسالة التي يريد كتابتها بينه وبين نفسه، ثم يدلي بها إلى صحيفة من الصحف أيّاً كانت، ثم

يمضي لسبيله كأنه ما صنع شيئاً، فلا يسير وراءها سير المتسمع المتجسس ليعلم **ما رأي الناس فيها، وما حديثهم عنها، وهل سخطوا عليها، أو رضوا بها؟** ولا يمسي متنقلاً في المجامع والأندية، **مسائلاً عنها كل غادٍ ورائح**، ليجد خيراً فيضحك ويستبشر، أو شرّاً فيبكي ويبتئس، بل كثيراً ما رأيته يسمع حديث الناس عنه في حالي رضاهم وسخطهم ساكناً هادئاً، كأنما يتحدثون عن غيره، ويعنون شخصاً سواه، حتى كدت أتخيل ألا فرق عنده بين: **أحسنت وأجدت، وأسأت وأخطأت**، بل قلما رأيته على كثرة لصوقي به، وتفقدي في مواقع سمعه وبصره يقرأ ما تكتبه الصحف عنه، وما تعلقه غلو آرائه وأفكاره، من مدح أو ذم، حتى كدت أحمل تلك الحال الغريبة من أمره على البله والغفلة، أو العظمة والكبرياء.

لولا أني فاتحته مرة في ذلك **وسألته**: لم لا تحفل برأي الكتّاب فيك؟ ولم لا تقرأ ما يكتبون عنك؟.

أجاب: إنني ما أقدمت على الكتابة للناس في إصلاح شؤونهم، وتقويم معوجهم، إلا بعد أن عرفت أني أستطيع أن أنزل منهم منزلة **المعلم من المتعلم**، للناس خاصة وعامة، أما خاصتهم فلا شأن لي معهم، ولا علاقة لي بهم، ولا دخل لكلمة من كلماتي في شأن من شؤونهم، **فلا أفرح برضاهم، ولا أجزع لسخطهم**، ولأني لم أكتب لهم، ولم أتحدث إليهم، ولم أشهدهم أمري، ولم أحضرهم عملي، بل أنا أتجنب جهد المستطيع، أن أستمع منهم كل ما يتعلق بي من خير أو شر، لأني راضٍ عن طريقتي التي أكتب بها رسائلي، **فلا أحب أن يكدرها عليَّ مكدر، وعن آرائي التي أودعها إياها، فلا أحب أن يشككني فيها مشكك**، ولم يهبني الله من قوة الفراسة ما أستطيع أن أميز بين مخلصهم ومشوبهم، فأقبل على الأول لأستفيد علمه، وأعرض عن الثاني لأتقي غشه، فأنا أسير بينهم مسير رجل بدأ يقطع مرحلة لا بد له أن يفرغ منها في ساعة محدودة، ثم علم أن على يمين الطريق الذي يسلكه روضة غناء تعتنق أغصانها وتشتجر أفنانها وتغرد أطيارها وتتألق أزهارها، وأن على يساره غاباً تزأر أسوده، وتعوي ذئابه، وتفح أفاعيه وصلاله، فمشى قدماً لا يلتفت يمنة **مخافة أن يلهو عن غايته بشهوات سمعه وبصره**؛ ولا يسرة مخافة أن يهيج بنظراته فضول تلك السباع المقعية والصلال الناشرة **فتعترض دون**

طريقه، وأما عامتهم: فهم بين ذكيّ قد وهبه الله من سلامة الفطرة وصفاء القلب وسلامة الوجدان **ما يعدّه لاستماع القول واتباع أحسنه**؛ فأنا أحمد الله في أمره؛ وضعيف قد **حيل بينه وبين نفسه** فهو لا يرضى إلا عما **يعجبه**، ولا يسمع إلا ما **يطربه**، فأكل أمره إلى الله وأستلهمه صواب الرأي فيه حتى يجعل له من بعد عسرٍ يسراً.

فأنا إنما أكتب للناس لا لأعجبهم؛ بل لأنفعهم، ولا لأسمع منهم: أنت أحسنت، بل لأجد في نفوسهم أثراً مما كتبت، فلو أن هذه الملايين الاثني عشر التي يحتضنها هذان الجبلان أجمعت أمرها على الإعجاب بي والرضا عني، **ثم رأيت من بينها رجلاً واحداً ينتفع بما أقول، لكان الواحد المستفيد آثر في نفسي من الملايين المعجبين، أتدري لِمَ عجز كتّاب هذه الأمة عن إصلاحها؟** لأنهم يظنون أنهم لا يزالون حتى اليوم طلبة يتعلمون في مدارسهم، وأنهم جالسون بين يدي أساتذة اللغة يتلقون عنهم دروس البيان؛ فترى واحداً منهم يكتب وهمه المالئ قلبه أن يعجب اللغويين، أو يروق المنشئين، أو يطرب الأدباء الظرفاء، ولا يدخل باب أغراضه ومقاصده أن يتفقد المسلك الذي يجب أن يسلكه إلى قلوب الذين يقول: إنه يعظهم أو ينصحهم أو يهذبهم أو يثقفهم، ليعلم كيف ينفذ إلى نفوسهم؛ وكيف يهجم على قلوبهم وكيف يملك ناصية عقولهم، فيعدل بها عن ضلالها إلى هداها، وعن فسادها إلى صلاحها، فمثله كمثل الفارس الكذاب الذي تراه حاملاً سيفه كل يوم إلى الجوهري ليرصع له قبضته أو الحداد ليشحذ له حدّه، أو الصقيل ليجلو له صفحته، **ولا تراه يوماً في ساحة الحرب ضارباً به**.

نعم قد يكون الولع برضاء الناس والخوف من سخطهم مذهباً من مذاهب الخير، وطريقاً من طرق الهداية للضال عنها لو أن الفضيلة هي الخلق المنتشر فيهم، والغالب على أمرهم، لو كان الأمر كذلك لآثرت أن يعرض المرء نفسه على الفضيلة ذاتها من حيث هي، لا من حيث تشخيصها في أذهان الناس وقولهم، **فإذا استوثق منها وعلم أنها قد خالطت قلبه وأخذت مستقرها من نفسه جعلها ميزاناً يزن به أقواله وأفعاله كما يزن به أقوال الناس وأفعالهم، ثم لا يبالي بعد ذلك أرضوا عنه أم سخطوا عليه، أحبوه أم أبغضوه، فإنما يبكي على الحب النساء**.

* * *

٣

لا أعرف كالسفر معلماً

الدكتور سامي القبّاني

أحب السفر. . ولعل هذا الحب خالجني وبقي معي منذ نعومة أظفاري.

فقد ولدت في بلد غريب عن موطني، وقضيت أولى سنوات حياتي متنقلاً مع أهلي بين بلدة وأخرى. . . وتغربت أثناء دراستي الجامعية، ثم انتقلت إلى بلد آخر لأتابع اختصاصي. وكنت في كل مرة أحط الرحال في مكان، أكتسب شحنة زائدة من القدرة على التكيف، ونزعة ملحَّة لإعادة التجربة من جديد.

وكما قال «روبرت ستيفنسون»: «أنا لا أسافر لأصل إلى مكان ما. . . إنما أسافر بغية السفر»! فإن غايتي الحقيقية من السفر لم تكن يوماً التعرف إلى بلد معين، بل كانت دوماً تلك السعادة التي تشملني وأنا في وسط غريب أَخْبُرُ عاداتٍ وطباعاً غير التي فيها نشأت وترعرت. . . أخاطب الأجانب بتعابير من لغتهم كنت قد حفظتها، وأكتشف بعضاً من ميزات ثقافتهم وخصوصياتهم.

وعندما كان أبي ـ رحمه الله ـ يدعوني مع بعض أهلي لمرافقته في إحدى رحلاته الكثيرة، كانت أسعد أيامي تلك التي كنت أتجول فيها وحيداً في شوارع وأزقة المدن التي زرناها، وليس في حوزتي إلا خريطة مصغرة أسترشد بها، ولمظة من العملة المحلية أنفقها. . . وكنت أتعمّد ـ باللاشعور ـ أن أضيّع سبيلي وسط المدينة،

كي أسأل المارة ـ بما أعرف من لغتهم ـ عن الطريق الصحيح، لأختبر ردود فعلهم وأمتحن لهفتهم لمدّ يد العون للغريب. وإن أنسَ لا أنسَ رحلة قضيت فيها شهراً من العطلة الصيفية في إحدى القرى الألمانية وأنا طالب شاب.

كانت ظاهرة «معسكرات الشباب» منتشرة آنذاك في أوروبة، حيث يُستضاف عدد من الطلاب من شتى الجنسيات، فيقضون بضعة أسابيع معاً في إحدى القرى دون مقابل، لقاء أدائهم مهمة تعود على سكان القرية بالنفع.. كان نصيبي معسكراً ضم حوالي ثلاثين طالباً من أكثر من عشر جنسيات أوروبية وآسيوية وإفريقية (كنت العربي الوحيد في المجموعة)، وكانت وظيفتا المساهمة في إعادة تعمير قرية دمّرت بكاملها إبّان الحرب العالمية الثانية.

ولا تسل عن العمل المرهق الذي كان يُطلب منا تحت إشراف المهندسين المعماريين، والذي كان يبدأ في الثامنة والنصف صباحاً ولا ينتهي حتى الرابعة (مع السماح بساعة من الاستراحة لتناول وجبة الغداء).. إلا أننا ـ مع ذلك ـ كنا نستمتع بكل لحظة من عملنا المشترك، الذي كان يتخلله تبادل الطُرف والمزاح بشتى اللغات، وتتناثر أثناءه الأسئلة التي كان كل منا يرميها ليزداد معرفة بتقاليد وعادات أصحابه، وتعترضه المناقشات الأكثر جدّية (والتي كانت تحتدّ أحياناً) حول شتى الموضوعات الإنسانية العامة؛ مثل علاقة الدول المتطورة بالدول النامية، والفروق بين المذاهب والأديان، ودور المرأة في المجتمع المعاصر.. وكنا ننهي يومنا بحفلة سمر يقيمها كل من الجنسيات الممثلة في المعسكر بالتناوب.

لقد تعلمت من تلك الرحلة ـ وغيرها ـ الشيء الكثير، ولا غرو، **فالسفر** ـ كما قال العالم والفيلسوف «فرنسيس بيكون» ـ هو **مصدر للمعرفة والتجربة** لا غنى عنه للشاب والكهل على حد سواء..

تعلمت أن الإنسان، مهما كان منشؤه ومذهبه ولونه، هو واحد في مشاعره ومخاوفه وآماله.

تعلمت أن **معظم الخلافات** في وجهات النظر بين الناس، والتي يعود أكثرها

لفروق تربوية في الصغر، **يمكن حلّها باستعمال الحكمة والمنطق، وأنّ القدرة على التسامح واستيعاب الآخرين تنمو بازدياد التعرض للثقافات الأخرى والتفاعل معها.**

تعلمت أن سعادة الإنسان نسبية، وأنه **لا سعادة مطلقة في أية بقعة من بقاع الأرض، وأن ما تربحه في بيئة جديدة تهاجر إليها، كثيراً ما تخسر ما يعادله نتيجة تركك بيئتك الأصلية..**

لا أعرف كالسفر **معلماً** للإنسان **ومهذباً** لطبعه **ومربياً** لشخصيته، ولم يكن عبثاً قول سكان البادية القديم: «**إن المياة الراكدة آسنة**، بينما تمتاز المياه الجارية بصفائها ونقائها!» ولو استُنصحت لنصحت كل أبوين أن يرسلا أولادهما في رحلة منظمة لإحدى بقاع الأرض كل بضع سنين.

ولو استُشرت لأشرت على منظمات التربية والتعليم العالمية أن تدخل هذه التوصية في دساتيرها، فقد تكون هذه أفضل وسيلة ـ على المدى البعيد ـ لنزع الخلافات بين الأمم، وتعميم السلام بين الشعوب.

* * *

٤

إنها الثقة بالنفس

زوجة الدكتور هربرت فنسترهيم

عندما تزوجت وأنا في سن الأربعين، قال الجميع: «يا لك من فتاة محظوظة»! وقد كنت كذلك بالفعل فقد تزوجت رجلاً أنيقاً وجذاباً ومخلصاً وعطوفاً، ويشبه في غموضه النجم السينمائي «بول براينر». وكنت أحسب وقتئذٍ أن هذا هو كل شيء، بيد أني لم أكن قد أدركت كم أنا محظوظة بشكل حقيقي؛ ذلك أن زوجي الدكتور «هربرت فنسترهيم» وهو طبيب نفسي كان أحد المتخصصين في علاج السلوك، ذلك العلاج الذي يجعل تدريب الثقة بالنفس واحداً من أهم صوره.

وللوهلة الأولى يظن الشخص العادي أنني آخر من يحتاج إلى أي صورة من «تدريب الثقة بالنفس» فأنا أستطيع التكيف، وأواجه المواقف الصعبة، وخطوط اللا رجعة في كل دقيقة من كل يوم في حياتي العملية.

إلا أن الشخص العادي قد لا يعرف أنني أمضيت ثماني عشرة سنة أمارس نفس العمل، وأنا أتوقع الفصل في كل يوم، أكثر من ذلك، فإنني أبداً لم يراودني حلم تغيير وظيفتي.. فأين أجد غيرها؟! ومن يريدني؟! وماذا يمكن أن أكون بدون هذه الوظيفة البراقة؟! هكذا كان تفكيري.. وكانت إجابتي عن هذه التساؤلات هي (لا شيء).

إجابة سلبية على الرغم من حقيقة أنني عبر السنين الماضية حصلت على العديد من جوائز التكريم للأداء المتميز. وكنت لا أقل عن ذلك جبناً في حياتي الشخصية، بل كنت أحب أن أكون كذلك، لأن كل صديقاتي كنَّ يلجأن إليّ في أوقات الشدة، وكن يطلقن عليّ لقب «الفتاة التي تأتي بحساء الدجاج».. وقد كنت كذلك بالفعل، فعندما تداهم إحداهن «الإنفلونزا» كنت أذهب إليها، وأبقى إلى جوار سريرها ومعي ذلك الحساء الذي أصنعه بالمنزل.

أما عندما أسقط أنا مريضة، فإن واحدة منهن لم تكن تأتي لزيارتي، ولم يخطر ببالي أبداً أن أطالب إحداهن بأن تفعل أكثر من ذلك، كنت أوافق على أي طلب أتلقاه من أي صديقة، كي أذهب معها إلى السوق، أو أقيم حفل عشاء كي تجد هي مكاناً تدعو إليه صديقها الجديد، وكثيراً ما كنت أضطر إلى الكذب الأبيض[1] في اللحظة الأخيرة كي أهرب من وعودي بتلبية هذه المطالب.

ولكن بعد عامين من زواجي، تغير كل ذلك، فذات يوم وأنا على أحد شواطئ جزيرة «كورسيكا» وجدت نفسي أنفجر باكية كإحدى بطلات «تشيكوف».. وسألني زوجي: هل أستطيع مساعدتك؟ وقتئذ **فتحت له صندوق مشاكلي وحدثته عن كل مخاوفي**.. قلت له: «هناك تنظيم جديد في المكتب، وسأكون أول المفصولين من العمل».. وأضفت: «لقد أمضيت عامين في إعداد كتاب عن باريس في بداية القرن العشرين.. ولكن إن لم أذهب إلى باريس لقضاء عام فيها، فلن أستطيع إتمام تأليف الكتاب، فضلاً عن أن موضوعه صعب بالنسبة لي على أية حال».

وشكوت قائلة: «إن أصدقائي يطلبون مني الكثير وأسرتي تثقل عليّ.. وأحياناً تثقل أنت عليّ.. **وأنصت زوجي حتى هدأت عاصفة الكلمات المنطلقة من فمي**، ثم قال لي بنفس أسلوبه الهادئ الذي أثق في أنه يستخدمه مع المضطربين من المرضى: «إنك تبدين بمظهر الواثقة.. بينما الحقيقة هي أنك فقدت الزمام.. وما عدت تفكرين

(١) لا يوجد شيء اسمه كذب أبيض، وكذب أسود، فالكذب واحد لا يتعدد ولا يتلون في الديانات أجمع..

إلى أين تريدين الذهاب؟ **واختلطت عليك الأهداف**، ووقعت في الحيرة بين الفوز بحب الآخرين، أو الفوز باحترامهم لك، وما عدت قادرة على تمييز الأهداف الجانبية... **فأنت تريدين إما بلوغ الكمال، أو هدم كل ما سبق أن حققته**.. دعينا نحدد بعض الأهداف.. **وأولها: ماذا تريدين من حياتك؟**».

وكانت إجابتي: «أريد أن أغير وظيفتي، وأن أؤلف كتاباً آخر وأنعم ببعض السلام، لقد تعبت من الأثقال الملقاة على كاهلي» وأجابني زوجي مواسياً: «غَيِّري وظيفتك.. لقد أمضيت فيها ثمانية عشر عاماً من عمرك.. وكل ما نالك فيها هو مجرد العمل.. **فلماذا لا تعطين نفسك فرصة أخرى في عمل آخر؟**.

إنك تحت النظام الجديد قد تتعرضين للفصل ما لم تفكري في شيء جديد تفعلينه، فماذا يمكنك أن تفعلي؟».

وعرفت ما يمكن أن أفعله، فبعد عودتنا من الولايات المتحدة مباشرة، بعثت بمذكرة إلى رئيسي في العمل، أوضحت له فيها كيف يمكن استثمار مواهبي في وظيفة أعلى، وحصلت بالفعل على الترقية ومعها زيادة في المرتب ـ وأكثر من ذلك أنني كنت واحدة من خمسة من قدامى العاملين الذين نجوا من الفصل بسبب التعديلات الجديدة في نظام العمل.

أما بالنسبة لكتابي الفرنسي، فقد أعطاني زوجي نصيحة ما زلت أتمسك بها حتى الآن في كل مرة أتعرض فيها للاكتئاب.. قال لي: «**قد لا تكوني قادرة على كتابته الآن، ولكن يمكنك أن تجعلي منه هدفاً للمدى الطويل**، قومي بإعداده.. قد تواتيك الفرصة لكتابته بالفعل، وإن كانت هناك خطوات أخرى يتعين عليك اتخاذها قبل ذلك... **وهكذا لا يصبح الأمر اختياراً بين الكتاب الفرنسي أو لا شيء على الإطلاق**» وهكذا بدأت مباشرة في تأليف كتاب آخر واقعي غير تاريخي.. كتاب يمكنني تأليفه في «نيويورك» **وخرج هذا الكتاب إلى حيز الوجود** تحت اسم «الزوجة الثانية».

وبالنسبة لأصدقائي وأسرتي، قال زوجي: «غَيِّري أسلوبك مع أصدقائك وأسرتك لأنك أسيرة الشعور بالحاجة إلى حب الآخرين لدرجة أنك تفقدين احترامك

لنفسك.. عليك أن تتعلمي ـ على الأقل ـ كيف تعالجين المواقف السخيفة بشكل يجعلك تحترمين ذاتك، إنك الآن تشعرين بالألم وتلزمين الصمت عندما تتعرضين للانتقاد من الأصدقاء أو أفراد الأسرة.. هذا الكبت يجعلك تكرهين نفسك، ولكن بعبارة يسيره مثل: «لا يعجبني ما قلته» قد تتغير الصورة برمتها، وربما بالتالي تتعلمين كيف تردين انتقاداتهم إلى صدورهم». **ونتيجة لهذه النصيحة**، وعلى مدى عامين فقط، غيرت وظيفتي إلى أخرى أرقى وأكثر بريقاً وتحدياً في نفس المؤسسة وبزيادة (٢٥٪) في المرتب. ولكن عندما تم مؤخراً تطبيق نظام جديد في العمل، أدى إلى إلغاء القسم الذي كنت أعمل به، بهدف خفض النفقات تعرضت بالفعل للفصل.. فماذا حدث؟ هل خامرني الشعور بأنني «لا شيء»؟ كلا على الإطلاق.. لقد **رحبت بهذه الفرصة لأجرب الأسلوب الحرّ في الحياة**.

أكثر من ذلك أنني في خلال ستة أسابيع كانت لديّ ارتباطات تأليف تتجاوز قيمتها ما كنت أتقاضاه من مرتب في عام كامل.

وعلقت على ذلك لزوجي قائلة: «إن الجميع يقدمون لي عروضاً»، وقد كنت أعتقد أنني **سأصبح بلا كيان** عندما فقدت وظيفتي!». وأجابني بقوله: «**لقد كنت الوحيدة التي تفكرين على هذا النحو**» وتعلمت كيف أرد على من يدّعون أنهم أصدقائي، وهم الذين اعتادوا **إحباط عملي بتلميحاتهم السخيفة**؛ مثل: «**إن أيّ شخص يمكنه تأليف الكتب مثلك.. إنك تجلسين فقط وتكتبين.. وهذا كل ما هنالك**» ووجدتني أتحول من الرد بعبارة مثل: «كيف تقولون ذلك؟!» إلى رد واثق وحازم هو: «هل تشعرون بالغيرة مني؟».

تعلمت أيضاً أن أقول: «**لا**»... للمطالب غير المعقولة، فعندما تطلب مني زوجة أبي أن أعتني بكلبها أثناء غيابها، وهي تعلم أنني الوحيدة التي تعمل كل الوقت من بين أبنائها وبناتها وحفيداتها، فإنني بدلاً من أن أوافق، ثم أعاني لمدة ثلاثة أشهر، بينما هي تستمتع بإجازتها في «كاليفورنيا»، أصبحت أجيبها بقولي: «أتمنى لو كنت أستطيع ذلك.. ولكنني مشغولة».. ثم أسمع إجابتها المغتاظة في الجانب الآخر من

المكالمة وهي تقول: «لعله من الأفضل لـ «براوني» أن يوضع في مأوى الكلاب». . لقد أصبحت الآن قادرة على أن أقول لزوجي: «إنني لا أرغب في ذلك» بيسر تام.

إنني الآن أعرف أنه **من الأفضل أن يتكلم المرء بما يجيش في صدره بدلاً من ألا يتكلم على الإطلاق.**

وأصبحت لي مجموعة من الأهداف والأهداف الفرعية، فبعد خمس سنوات من الآن سأصدر الكتاب الفرنسي!.

. . وهكذا ونتيجة لتلك المحاضرة التي ألقاها زوجي على مسامعي ذلك اليوم على شاطئ «كورسيكا» وتدريب الثقة بالنفس الذي أدخلني فيه منذ ذلك الوقت تغيرت حياتي كلها من **التردد** الذي كان مستحوذاً عليّ إلى **الحركة الفعالة**. . وأصبحت أعرف إلى أين تتجه مسيرتي، كل ذلك لأني عرفت مفتاح الحياة السعيدة غير العصبية. . **هو تلك الكلمة الصغيرة «الثقة» لقد نفعتني هذه الثقة. . ويمكن أن تنفعك أنت.**

* * *

٥

لعق التراب

الأستاذ مالكولم ماغريدج

كتب مالكولم ماغريدج في «وصية للقرن العشرين»:

حين أعود ببصري إلى حياتي الماضية، وهو أمر أقوم به أحياناً، فإن أكثر ما يصدمني بقوة عنها هو أن ما كان **يبدو** في حينه الأكثر أهمية وإغراءً، يبدو الآن تافهاً وسخيفاً. وعلى سبيل المثال: **النجاح** بأشكاله المختلفة، **الشهرة**، وتلقي الإطراء، ومسرات المظاهر الكاذبة، مثل اكتساب المال، وإغواء النساء، أو السفر والترحال إلى مختلف أنحاء الأرض طولاً وعرضاً مثل الشيطان، **مجرباً** كل ما يمكن أن تقدمه استعراضات التفاهة والخيلاء.

وحين أستعيد تلك الممارسات وما قدمته من بهجة حقيقية لي، فإنها تبدو **مجرد وهم**، أو ما أسماه باسكال «**لعق التراب**».

* * *

٦

خلاصات تجاربهم في نقاط

اِسْمَعْ نَصِيحَةَ ذِي لُبٍّ وتَجْرِبَةٍ يُفِدكَ في اليَوْم ما في دَهْرِهِ عَلِمَا

‹نصر بن سيّار›

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

القسم الثاني

في إطار الخبرة النفسية

٧

تجربتي الشخصية

الدكتور عدنان الشريف

إنها تجربتي الشخصية مع الإيمان، لقد درست الطب العام وتخصصت في الأمراض العصبية والعقلية والنفسية، **ودرست ومارست وتناولت مختلف الوسائل العلاجية من استرخاء وتنويم ذاتي، وعقاقير مهدئة للأعصاب علّي أجد في ذلك شفاء لقلقي النفسي من عقد الموت فلم أجد إلا فائدة وقتية**. حاولت أن أغرق قلقي النفسي وخوفي على مصيري بقصر الحياة هذه (لأنني لم أكن أوقن بحياة أخرى فاضلة) بالتعرف إلى شتى أنواع النشاطات التي يدعونها **بالاجتماعية**؛ وهي في أكثرها أقرب إلى **اللغو ومضيعة الوقت دون طائل**، فماذا كانت النتيجة؟ ركض لاهث وراء ما كنت أعتقده السعادة، وتبين لي أن كل ذلك **لَذّات آنية** مصحوبة في أكثرها بالألم، ومحاولات متكررة للهروب والتستر من عقدي النفسية وأهمها عقدة الموت، من دون جدوى أو لبعض الوقت فقط، **إلى أن تبين لي أن سلوك الإيمان الصحيح هو الذي يعطي السعادة الحقيقية الدائمة**، والأمل المشرق والمطمئن بحياة أخرى أفضل من هذه الحياة الزائلة، فالإيمان العلمي المنهجي اليقيني بالله، والتزام تعاليم كتابه وسُنَّة رسوله هو الذي **حللني من عقدي النفسية الدفينة**؛ وأولها عقد الموت والخوف منه، وعقد النقص والتعالي وحب الجاه والمركز، وعقد همّ الرزق وخوف المستقبل، وعقد حب المال وعبادته!!.

أنام منذ عرفت الإيمان قرير العين لا خوف من موت بالسكتة القلبية أو بنزيف دماغي صاعق، ولا خوف من تورم سرطاني في الدماغ أو شلل شقي، أو إصابة برصاصة طائشة قاتلة أو بصاروخ مدمر، ما دام الموت هو بيقيني منذ تمرست سلوك الإيمان، انتقال من حياة دنيا زائلة إلى حياة فضلى خالدة، وإلى أن **قضائي وقدري** هو بيد المولى الذي جعلته وليي وهو أرحم الراحمين. وقد طمأنني في كتابه الكريم بأنه ﴿يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، وأنه ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وأنه هو يُحْيِي ويُمِيتُ، وأن ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، وأن ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وأنه ﴿يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وكل إنسان، مهما كانت مهنته وعمره معرض في كل لحظة وخاصة عندما يخلو لنفسه **لأفكار تخويفية لا يجد حلاً جذرياً لها إلا الإيمان أو حلاً وقتياً بأخذ المسكنات والمنومات والتردد إلى عيادات الأطباء.**

لم يعد أولادي الثلاثة يشعرون بالخوف، منذ أن عوّدتهم وهم صغار على الصلاة، وشرحت لهم معناها ومعنى كلمة (**الله أكبر**)، وبأنه أكبر وأقوى من أي شيء يخوفهم سواء أكان **حقيقة أو وهماً** في أذهانهم، لم يعودوا عرضة للنوم المتقطع، أو الأحلام المزعجة أو الكوابيس، أو القيام وسط الليل والاندساس في فراشي أو فراش والدتهم، أو عدم القدرة على النوم إلا في فراش والدتهم وهي بقربهم حتى يناموا، كما يفعل الأولاد ممن أعالج يومياً، ومنهم من يبقى على عدم القدرة على النوم إلا في فراش والدته حتى المراهقة، وكلها أعراض تدخل في حقل اضطراب النوم عند الأطفال والأولاد وما أكثرها، **ولا شفاء لها إلا بوجود جوّ عائلي إيماني صحيح.**

وولدي الأوسط، عمره عُمر الحرب الأهلية في لبنان؛ تجاوز بنجاح وشفاء تام، الخوف الطبيعي من أصوات الرصاص والمتفجرات الذي فرضته ظروف قاهرة ظالمة، بعد أن شرحت له من واقع ديني وإيماني معنى الموت، ومصيره بعد الموت، وكيف أن طاعة الله والصلاة تنجيه وتحميه من كل ما يخيف، فأصبح لدى سماع أية انفجارات وما أكثر سماعها، يصرخ: (الله أكبر).. ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وكأن هذه الكلمات هي السحر العجيب لكل ما كان يعانيه من آثار الخوف من

اضطراب ورجفة واصفرار في الوجه وتسارع في ضربات القلب وضياع حتى فقدان الوعي، على حين أن الكبار **ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم**، تراهم يتسارعون إلى الملاجئ خوفاً ورعباً، وهو يضحك بعفوية وطيبة صائحاً بهم: **(صلّوا ما بتعودوا بتخافوا)!!**.

أجل لقد تخلصت **وبفضل الإيمان** وأنا على أعتاب **الخمسينيات من العمر**، مما هو برأيي مُنغّص في كل دقيقة أو ثانية لحياة الفرد العادي، عنيت بذلك **حرقة الطلب في طلب الحصول على «الأشياء» أو التعلق بها**. فلا المال ولا اللذات ولا الجاه ولا المركز ولا الأولاد يسعدوني أو أسعدوني، كل ذلك متاع زائل، **ولكن التسليم لله والإيمان به وبكل ما قضى وشرّع**، جعلني سعيداً راضياً في دنياي الحاضرة، قرير البال بالنسبة لغدي ومماتي وما بعده!!.

لقد أوصلني إلى الطمأنينة **(أي السعادة)**، سلوكي لطريق الإسلام الصحيح ودراستي علمياً لتعاليمه وتطبيقها، فوجدت بعد الممارسة أني في الطريق الذي يسعد، **فبدأت منذ سنوات بإرشاد أصدقائي ومرضاي المتعبين نفسياً وجسدياً إليه، إلى طريق الإيمان الصحيح، طريق السعادة.**

وآمل أن أعمم التجربة لمن أراد أن يؤمن: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

* * *

٨

وعظتني نفسي

الأستاذ جبران خليل جبران

وعظتني نفسي فعلّمتني حبّ ما يمقته الناس، ومصافاة من يضاغنونه، وأبانت لي أن الحب ليس بميزة في المحبّ بل في المحبوب. وقبل أن تعظني نفسي كان الحب بي خيطاً دقيقاً مشدوداً بين وتدين متقاربين، أمّا الآن فقد تحوّل إلى هالة أوّلها آخرها وآخرها أوّلها تحيط بكّل كائن وتتوسّع ببطء لتضم كلّ ما سيكون.

وعظتني نفسي فعلمتني أن أرى المحجوب بالشكل واللون والبشرة، وأن أحدق متبصّراً بما يعده الناس شناعة حتى يبدو لي حسناً. وقبل أن تعظني نفسي كنت أرى الجمال شعلات مرتعشة بين أعمدة من الدخان واضمحل فلم أعد أرى سوى ما يشتعل.

وعظتني نفسي فعلمتني الإصغاء إلى الأصوات التي لا تولدها الألسنة ولا تضج بها الحناجر. وقبل أن تعظني نفسي كنت كليل المسامع مريضها، لا أعي سوى الجلبة والصياح، أما الآن فقد صرت أتوجس بالسكينة فأسمع أجواقها منشدة أغاني الدهور، مرتلة تسابيح الفضاء، معلنة أسرار الغيب.

وعظتني نفسي فعلمتني لمس ما لم يتجسد ولم يتبلور، وأفهمتني أن المحسوس نصف المعقول، وأن ما نقبض عليه بعض ما نرغب فيه. وقبل أن تعظني نفسي كنت

أكتفي بالحار إن كنت بارداً، والبارد إن كنت حاراً، وبأحدهما إن كنت فاتراً. أما الآن فقد انتشرت ملامسي المنكمشة وانقلبت ضباباً دقيقاً يخترق كلّ ما ظهر من الوجود ليمتزج بما خفي منه.

وعظتني نفسي فعلمتني استنشاق ما لا تبثه الرياحين ولا تنشره المجامر. وقبل أن تعظني نفسي كنت إن اشتهيت عطراً طلبته من البساتين أو من القوارير أو المباخر. **أما الآن فقد صرت أشمّ ما لا يحترق ولا يهرق،** وأملأ صدري من أنفاس زكية لم تمر بجنّة من جنات هذا العالم، ولم تحملها نسمة من نسمات هذا الفضاء.

وعظتني نفسي فعلمتني أن أقول: «لبيك» عندما يناديني المجهول والخطر. وقبل أن تعظني نفسي كنت لا أنهض إلا لصوت مناد عرفته، ولا أسير إلا على سبل خبرتها فاستهونتها. أما الآن فقد أصبح المعلوم مطية أركبها نحو المجهول، والسهل سلّماً أتسلق درجاته لأبلغ الخطر.

وعظتني نفسي فعلمتني ألا أقيس الزمن بقولي: كان بالأمس وسيكون غداً. وقبل أن تعظني نفسي كنت أتوهم الماضي عهداً لا يُرد، والآتي عصراً لن أصل إليه. أما الآن **فقد عرفت أن في الهنيهة حضارة كل الزمن بكل ما في الزمن مما يرجى وينجز ويتحقق.**

وعظتني نفسي فعلمتني ألا أحدّ المكان بقولي: هنا وهناك وهنالك. وقبل أن تعظني نفسي كنت إذا ما صرت في موضع في الأرض ظننتي بعيداً عن كل موضع آخر. أما الآن فقد علمت أن مكاناً أحل فيه هو كل مكان. وأن فسحة أشغلها هي كل المسافات.

وعظتني نفسي فعلمتني أن أسهر وسكان الحي راقدون، وأن أنام وهم منتهبون. وقبل أن تعظني نفسي كنت لا أرى أحلامهم في هجعتي، ولا يرصدون أحلامي في غفلتهم. أما الآن فلا أسبح مرفرفاً في منامي إلا وهم يرقبونني، ولا يطيرون في أحلامهم إلا وفرحت بانعتاقهم.

وعظتني نفسي فعلمتني أن لا أطرب لمديح ولا أجزع لمذمّة. وقبل أن تعظني نفسي كنت أظل مرتاباً في قيمة أعمالي وقدرها حتى تبعث إليها الأيام بمن يقرظها أو يهجوها. أما الآن فقد عرفت أن الأشجار تزهر في الربيع وتثمر في الصيف ولا مطمع لها بالثناء. وتنثر أوراقها في الخريف وتتعرى في الشتاء ولا تخشى الملامة.

وعظتني نفسي فعلمتني أن السراج الذي أحمله ليس لي، والأغنية التي أُنشدها لم تتكوّن في أحشائي. فأنا وإن سرت بالنور لست بالنور، وأنا وإن كنت عوداً مشدود الأوتار فلست بالعوّاد.

وعظتني نفسي يا أخي وعلمتني، ولقد وعظتك نفسك وعلمتك، فأنت وأنا متشابهان متضارعان، وما الفرق بيننا سوى أنني أتكلم عما بي وفي كلامي شيء من اللجاجة، وأنت تكتم ما بك وفي تكتمك شكل من الفضيلة.

* * *

٩

جذر الشفاء

الأستاذ وليم جيمس

إن أعظم دواء شافٍ للقلق، ولا شك، هو الإيمان.

ليس من الضروري أن يتعلم الإنسان في جامعة هارفارد أو في أية جامعة أخرى ليتسنى له طرد القلق، بل عليه أن يكون عامر القلب بالإيمان. فهناك أبي وأمي استطاعا قهر القلق بقلبيهما القويين، فتحديا النوازل والمصائب، وجابها الفيضانات بعزم أكيد وجدّ نادر. ويسرني الآن أن أذكر بعض المقتطفات من الأغنية التي كانت ترددها والدتي وهي تدير شؤون المنزل:

الإيمان هو الأمان.. يا لعظمة الإيمان
إذ يضعه في قلوبنا الرحيم الرحمن
منك ربي أطلب أن تعطيني الأمان
فيضاً عامراً، يملأ الصدر والجنان

وكانت رغبة والدتي أن أكرّس حياتي لخدمة الدين، لذلك طلبت مني أن أكون مبشّراً في بلد أجنبي، ففكرت بهذا، ولكني عندما ذهبت إلى الجامعة تغير تفكيري بصورة جذرية. درست علم الأحياء والعلوم المختلفة، ودرست الديانات المقارنة

وتعمقت في دراسة هذه الديانات، ثم كرست نفسي فترة من الوقت لدراسة التفسيرات الكثيرة للكتاب المقدس. فانتابني شك بالمعتقدات الدينية؛ إذ رأيت آراء متضاربة. وزاد في هذا الشك وجود الأفكار الرجعية التي كان يعظنا بها المبشرون في الريف. **وتنازعتني الحيرة** في الإلحاد والإيمان فآثرت الأول، وبالفعل تركت الصلاة. صرت أفكر في أمر هذا الكون، وانتابتني أفكار متناقضة وكثرت الأسئلة في رأسي حتى خلت نفسي ثائراً متمرداً على الحياة. وشبهت الإنسان بحيوانات الدينوسور العملاقة التي كانت تعمر الأرض منذ مئتي مليون سنة، وإن هذا الإنسان متعرض كذاك الحيوان إلى النهاية.

تعلمت من دراستي بأن الشمس تتخلّى عن حرارتها قليلاً قليلاً، وأنها متى فقدت عشرة من المئة من حرارتها مات كل كائن حي على سطح الأرض، فرحت أسخر بالأفكار التي تدعي وجود رب قادر رحيم خلق الأرض والسموات، وأوجد الإنسان وأعطاه ما أعطاه من الفضائل، كما وهبه الأخلاق القويمة. وكدت أؤمن وأصدق أن الأرض والسموات، بل الكون عامة بما فيها من الكواكب والشموس السيارة في فضاء مظلم معتم، إنما خلقتها قوة بلهاء عمياء، أو لعلها لم تخلق خلقاً بل وجدت هكذا كما وجد الزمان والمكان.

أتعتقد بأني أصبت في تلك الحلول لأسئلتي اللا متناهية، وشفيت ريبتي وشكوكي التي انتابتني في حياتي؟ **لا**، لا أعتقد بأنني توصلت إلى إجابة شافية لأسئلتي، بل لا زلت في دوامة من الحيرة والألغاز التي تحيطني إحاطة السوار بالمعصم؛ فكلما اعتقدت نفسي بأنني وصلت إلى الحقيقة، أسائل نفسي: ماهو سر وجودي؟ فحركية جسدي هي سر من الأسرار، والإضاءة والصواريخ والمخترعات الحديثة، والأزهار التي في الحديقة، كل هذه في حد ذاتها سر من الأسرار. لقد رصد تشارلس كيترنج ثلاثين ألف دولار سنوياً من جيبه الخاص لكلية إنطاكية إذا استطاعت أن تتعرف على سر اخضرار المزروعات.

إن جهلي بألغاز الحياة لم يحرمني لذة هذه الحياة الروحية السامية التي يهيئها لي

الدين، لكنني في آخر الأمر قرأت حكمة خالدة قالها «سانيتانا»: «لم يوجد الإنسان ليعرف كنه الحياة، ولكنه خلق ليعيش فيها».

أجل رجعت إلى الدين.. على وشك أن أعبر بأنني رجعت.. ولكن هذا التعبير لا ينطبق على الذي حصل.. لأنني اتخذت نظرة جديدة إلى الدين بدلاً من تعبير رجعت.. **فلم تعد تؤثر عليّ وتشغلني اختلافات المسيحيين فيما بينهم وتفرقهم إلى شيع وأحزاب، بقدر ما يهمني ما يقدمه إليّ الدين من رحمة ونعم**، تماماً كما تقدمه لي الإضاءة والسيارات والمخترعات الحديثة. فنظرتي الحديثة إلى هذا الدين تساعدني على أن أحيا حياة رغدة هادئة.

والدين بالإضافة إلى هذا إنما يمدني براحة روحية ومتعة قلبية سامية.

إن الدين يكسبني الإيمان، والأمل على متابعة السير في هذه الحياة بكل شجاعة.

إن هذا الإيمان استطاع أن يطرد مني القلق، ويزودني بغايات وأهداف سامية في هذه الحياة. وبالفعل إن هذا الإيمان استطاع أن يمدني بسعادة لم أحلم بها من قبل، ويعينني على خلق واحة خصبة في صحراء حياتي الطويلة.

* * *

١٠

أعظم درس في حياتي

الأستاذ روبرت مور

لقنت أعظم درسي في حياتي، وكان ذلك على عمق (٢٧٦) قدماً تحت سطح الماء بالقرب من ساحل الهند الصينية. . حدث هذا في عام (١٩٤٥م) وكنت أنا أحد أفراد طاقم الغواصة البالغ عددهم ثمانين بحاراً واسمها «بايا». وفي يوم من الأيام أنبأنا جهاز الرادار في الغواصة بأن فرقة يابانية تتجه نحونا، فاستغلينا مطلع الفجر حتى طلعنا على سطح الماء نبغي الهجوم، وظهرت خلال البيريسكوب مدمرتان يابانيتان، وسفينة لبثّ الألغام، فأطلقت مدافع غواصتنا ثلاث طوربيدات على إحدى المدمرتين ولكننا لم نصب الهدف بل أخطأناه، وبينما نحن نستعد لمعاودة الكرة، إذا بسفينة يابانية أخرى تتجه نحونا وتقترب منا بسرعة. فقد كشفت طائرة يابانية موقعنا وأعطته إلى السفينة اليابانية المتجهة نحونا، وذلك للانقضاض علينا، فهبطت غواصتنا إلى عمق (١٥٠) قدماً، حيث أوقفنا محركاتها حتى لا تُسمع.

وبعد ثلاث دقائق بالضبط فتحت أبواب جهنم حولنا وانفجرت ست قنابل من قنابل الأعماق أهدتنا إياها سفن الأعداء، فدفعتنا بقوة الضغط إلى عمق (٢٤٧) قدماً، وانتابنا الذعر، فإنما الخوف الذي يساور الغواصات هو الهجوم عليها وهي على عمق لا يتجاوز الألف قدم، فما رأيك ونحن على عمق يزيد قليلاً على ربع هذه المسافة!

إن هذا هو الموت المحتم، وبقيت سفينة الألغام تلقي علينا بقنابلها مدة خمس عشرة ساعة بصورة متواصلة، وكان الخوف قد أخذ منّا مأخذه حتى صعب علينا التنفس، فكنت دائماً أقول لنفسي: إننا اقتربنا من الموت، وهذه سكرات الموت.

وإذا أوقفنا محركات الغواصة وعددها، ارتفعت الحرارة في داخلها إلى أكثر من مئة درجة، وبالرغم من هذا فقد كنت أرتعد برداً من الخوف المحيط بنا، حتى إنني ارتديت فوق ثيابي الثقيلة معطفاً من الفراء، وبالرغم من هذا تراني أرتجف من البرد، وأصبحت أسناني تصطك والعرق البارد يتفصد من جبيني، وبقيت غواصتنا هدفاً لقنابل الأعداء مدة تجاوزت الخمس عشرة ساعة، ثم توقف الهجوم ويبدو أن هذه السفن استنفدت ذخيرتها من القنابل فمضت في طريقها لا تلوي على شيء، وبإنهاء هذه الخمس عشرة ساعة انتهت خمسة عشر مليوناً من السنين، **ففيها انبسط وجه حياتي أمام ناظري بما فعلت فيه من توافه وأحداث عظام وحوادث عظيمة**، انتابني القلق بسببها مدة طويلة.

فقبل أن ألتحق بالبحرية كنت موظفاً في إحدى البنوك. وكنت **دائم الشكوى** من طول الساعات التي أعملها، ومن المرتب الضئيل الذي كنت أتقاضاه، ومن قلة تفاؤلي بالترقية التي كان يتمتع بها غيري، كنت تعيساً في ذلك الوقت لضيق حالتي المادية، فما أكثر ما كنت أرغب في أن أبتاع ثياباً لزوجتي لتلبسها، وما أتعسني بذلك الجرح البليغ والظاهر في جبيني من أثر اصطدامي بسيارة، وما أتعسني أيضاً من قلق كان يساورني ولا أستطيع إبعاده لضعف إرادة مني ولقوة عناد منه. كنت أعيش في قلق حتى تلك اللحظة التي التحقت فيها بالبحرية ودخلت معركة الغواصة مع اليابانيين، ولسوء ما رأيت آنئذ من الرؤى التي أيقنت فيها على هلاكي، أخذت منذ ذلك الوقت عهداً على نفسي بالابتعاد عن القلق مهما كان نوعه ومهما صعب علي وجوده في نفسي، وبالفعل تعلمت من تلك المواقف المثيرة والمرعبة في المعركة وابتعدت عن القلق، **فاستفدت من تلك التجربة أكثر مما استفدته من الدروس الجامعية بجامعة سراكيوز**.

* * *

١١

لا تُقَزّم شخصيتك

الأستاذة أديث أولرد

كنت في حداثتي شديدة الحساسية، وشديدة الخجل، وكنت سمينة إلى حد ما، ولكن وجنتي كانت تظهر أنني بغير المظهر الذي أنا فيه، إذ إنهما كانتا تبديانني سمينة أكثر من الحقيقة، وإلى جانب هذا كانت والدتي تستقبح عليّ الثياب المكسَّمة على الجسد، ومن ثم فقد كانت ثيابي جميعها فضفاضة. وقد نشأت بعيدة عن المجتمع منطوية على نفسي، لا أكاد أميل إلى شيء من ألوان السعادة والفرح والانشراح. وعندما ذهبت إلى المدرسة لأول مرة، لم أتمالك نفسي وأشارك رفقائي ألعابهم ونشاطهم الاجتماعي أو الرياضي، فقد كنت أعتقد أنني بدعة في الخلق.

وعندما كبرت تزوجني رجل يفوقني سناً بعدة سنوات، ولكن حالي ظلّت كما هي لم تتغير. كان أهل زوجي جماعة لديهم اتزان وثقة بالنفس، ومراراً حاولوا إخراجي من الانطوائية التي أنا فيها، ولكن دون جدوى؛ **إذ إن كل محاولة من ناحيتهم كانت تزيدني إصراراً على تصرفاتي وتأكيداً لها.**

أصبحت على مرّ الزمان عصبية المزاج، شديدة التأثر، حتى كان إذا قرع الجرس ساورني فزع شديد، وعلمت عندئذٍ بأنني فشلت في حياتي، وكان كثيراً ما **يخيفني** أن يعلم زوجي بهذا الفشل. ومن ثم كنت **أتصنع البهجة والسرور** لكي أبدو

أمامه مرحة سعيدة بوجوده، وإذا أخذني إلى مكان عام كنت أيضاً **أتصنع في تصرفاتي** حتى ضاق بي الأمر وفكرت بالانتحار.

ولكن ما هو الشيء الذي حدث وغيَّر مجرى حياتي بشكل جذري؟ أقول لك: **إن ملاحظة صغيرة هي التي غيّرت مجرى حياتي كلها**، فبينما كانت حماتي تتكلم عن أبنائها وكيف درجت على تنشئتهم إذ قالت في معرض حديثها: ومهما يكن من أمر، فقد كنت أصرّ دائماً على أن ينطلق أولادي كل على سجيته ويتمشوا مع طبيعتهم المعقولة.. **إن كلمة «على سجيتهم» هي التي لفتت نظري وأعادتني إلى الوراء**. إذن، كنت أسير على سجية هي غير السجية التي كنت أطلبها وأتبعها.

وانقلبت حياتي بين يوم وليلة، حين أطلقت سجيتي على راحتها، **جربت دراسة شخصيتي بنفسي، لأتعرف إلى نواحي القوة فيها ونواحي الضعف**، ثم رحت أقهر العادات الرهيبة التي لازمتني منذ بداية نشأتي. فرحت أختار من الثياب ما يلائمني، ومن الموضة ما ينسجم مع جسمي، وسعيت لاكتساب أصدقاء جدد، والتحقت إلى جمعية نسائية صغيرة في بادئ الأمر. وكان الخوف يتملكني كلما اضطررت إلى إلقاء خطبة، **ولكني مع الزمن** اكتسبت ثقة بالنفس وشجاعة كافية. وقد اضطرتني هذه الأعمال من جانبي إلى تغيير مجرى حياتي تغييراً جذرياً.

وها أنا اليوم ولله الحمد أتمتع بصحة جيدة مع سعادة لم أحلم بها من قبل، وإلى اليوم لم أزل أعمل بموجب ما قالته حماتي عن أبنائها، وأوجه بدوري أبنائي: **«مهما كان الأمر انطلقوا على سجيتكم وتكيفوا مع الأجواء التي تلائمكم»**.

❊ ❊ ❊

١٢

خلاصات تجاربهم في نقاط

لـقـد جـرَّبـتُ هـذا الـدهـر حـتـى أفـادتـنـي الـتـجـاربُ والـعـنـاء

(أبو تمام)

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

القسم الثالث

في إطار الخبرة الفكرية

١٣

بعد الخمسين

الأستاذ علي الطنطاوي

نظرت في التقويم، فوجدت أني أستكمل اليوم (٢٣ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ) اثنتين وخمسين سنة قمرية، فوقفت ساعة أنظر فيها في يومي وأمسي. أنظر من أمام لأرى ما هي نهاية المطاف، وأنظر من وراء لأرى ماذا أفدت من هذا المسير.

وقفت كما يقف التاجر في آخر السنة، ليجرد دفاتره، ويحرر حسابه، **وينظر ماذا ربح وماذا خسر**.

وقفت كما تقف القافلة التي جُنَّ أهلوها، وأخذهم السُّعار، فانطلقوا يركضون لا يعرفون من أين جاؤوا ولا إلى أين يذهبون، ولا يهدؤون إلاَّ إذا هدهم التعب فسقطوا نائمين كالقتلى.

وكذلك نحن إذ نعدو على طريق الحياة، نستبق كالمجانين ولكن لا ندري علامَ نتسابق، نعمل أبداً من اللحظة التي نفتح فيها عيوننا في الصباح، إلى أن يغلقها النعاس في المساء، نعمل كل شيء إلا أن نفكر في أنفسنا، أو ننظر من أين جئنا، وإلى أين المصير. وجردت دفاتري، أرى ماذا طلبت، وماذا أعطيت.

طلبت المجد الأدبي، وسعيت له سعيه، وأذهبت في المطالعة حدَّة بصري، وملأت بها ساعات عمري، وصرمت الليالي الطوال أقرأ وأطالع، حتى لقد قرأت وأنا

طالب كتباً؛ من أدباء اليوم من لم يفتحها مرة لينظر فيها. وكان لي أستاذ يبصرني طريقي، ويأخذ بيدي، وما كان من أساتذتي مَنْ هو صاحب أسلوب في الكتابة يأخذني باتباع أسلوبه، ولا كان فيهم منْ له قدَم في الخطابة، وطريقة في الإلقاء، يسلكني مسلكه ويذهب بي مذهبه[1]. وما يسميه القراء أسلوبي في الكتابة ويدعوه المستمعون طريقتي في الإلقاء، شيء مَنَّ الله به عليَّ، لا أعرفه لنفسي، لا أعرف إلاَّ أني أكتب حين أكتب، وأتكلم حين أتكلم، **منطلقاً على سجيتي وطبعي**، لا أتعمد في الكتابة إثبات كلمة دون كلمة، ولا سلوك طريق دون طريق، **ولا أتكلف** في الإلقاء رنَّة في صوتي **ولا تصنعاً** في مخارج حروفي. . .

. . . وكنت أرجو أن أكون خطيباً يهز المنابر، وكاتباً تمشي بآثاره البرد، **وكنت أحسب ذلك غاية المنى وأقصى المطالب. فلما نلته زهدت فيه ، وذهبت مني حلاوته، ولم أعد أجد فيه ما يشتهى ويتمنى.**

وما المجد الأدبي؟ أهو أن يذكرك الناس في كل مكان ، وأن يتسابقوا إلى قراءة ما تكتب ، وسماع ما تذيع، وتتوارد عليك كتب الإعجاب ، وتقام لك حفلات التكريم؟ **لقد رأيت ذلك كله، فهل تحبون أن أقول لكم ماذا رأيت فيه؟ رأيت سراباً. . سراباً خادعاً، قبض الريح!.**

وما أقول هذا مقالة أديب يبتغي الإغراب، ويستثير الإعجاب، لا والله العظيم ـ أحلف لكم لتصدقوا ـ ما أقول إلاَّ ما أشعر به، وأنا من ثلاثين سنة أعلو هذه المنابر، وأحتل صدور المجلات والصحف، وأنا أكلم الناس في الإذاعة كل أسبوع مرة، من سبع عشرة سنة إلى اليوم، ولطالما خطبت في الشام ومصر والعراق والحجاز والهند وأندونيسيا خطباً زلزلت القلوب، وكتبت مقالات كانت أحاديث الناس، ولطالما مرت أيام كان اسمي فيها على كل لسان في بلدي، وفي كل بلد عشت فيه أو وصلت إليه مقالاتي، وسمعت تصفيق الإعجاب، وتلقيت خطب الثناء في حفلات التكريم، وقرأت في الكلام عني مقالات ورسائل، وَدَرَسَ أدبي ناقدون كبار، ودرّس

(١) إلا الشيخ عبد الرحمن سلام.

ما قالوا في المدارس، وترجم كثير مما كتبت إلى أوسع لغتين انتشاراً في الدنيا: الإنكليزية والأردية، وإلى الفارسية والفرنسية.. **فما الذي بقي في يدي من ذلك كله؟ لا شيء. وإن لم يكتب لي الله على بعض هذا، بعض الثواب، أكن قد خرجت صفر اليدين.**

إني من سنين معتزل متفرد، تمر عليَّ أسابيع وأسابيع لا أزور فيها ولا أزار، ولا أكاد أحدث أحداً إلاَّ حديث العمل في المحكمة، أو حديث الأسرة في البيت، **فماذا ينفعني وأنا في عزلتي إن كان في مراكش والهند وما بينهما منْ يتحدث عني ويمدحني، وماذا يضرني إن كان فيها من يذمني، أو لم يكن فيها كلها مَنْ سمع باسمي؟!.**

ولقد قرأت في المدح لي ما رفعني إلى مرتبة الخالدين، ومن القدح فيَّ ما هبط بي إلى دركة الشياطين، وكرمت تكريماً لا أستحقه، وأهملت حتى لقد دعي إلى المؤتمرات الأدبية وإلى المجالس الأدبية الرسمية المبتدئون وما دعيت منها إلى شيء، **فألفت الحالين، وتعودت الأمرين، وصرت لا يزدهيني ثناء ولا يهز السب شعرة واحدة في بدني.**

أسقطت المجد الأدبي من الحساب، لما رأيت أنه **وهم وسراب.**

وطلبت المناصب ثم نظرت فإذا المناصب **تكليف لا تشريف**، وإذا هي **مشقة وتعب، لا لذَّة وطرب، وإذا الموظف أسير مقيَّد بقيود الذهب.** وإذا الجزع من عقوبة التقصير أكبر من الفرح بحلاوة السلطان. وإذا مرارة العزل أو الإعفاء من الولاية، أكبر من حلاوة التولية. ورأيت أني مع ذلك كله قد اشتهيت في عمري وظيفة واحدة. سعيت لها وتحرقت شوقاً إليها. هي أن أكون معلماً في المدرسة الأولية في قرية حرستا، وكان ذلك من أكثر من ثلاثين سنة.. فلم أنلها فما اشتهيت بعدها غيرها.

وطلبت المال وحرصت على الغنى، ثم نظرت فوجدت في الناس **أغنياء وهم أشقياء، وفقراء وهم سعداء.**

ووجدتني وقد توفي أبي وأنا لا أزال في الثانوية، وترك أسرة كبيرة، وديوناً كثيرة، فوفَّى الله الدين، وربى الولد، وما أحوج إلى أحد. وجعل حياتنا وسطاً ما

شكونا يوماً عوزاً، ولا عجزنا عن الوصول إلى شيء نحتاج إليه، وما وجدنا يوماً تحت أيدينا مالاً مكنوزاً لا ندري ماذا نصنع به. فكان رزقنا والحمد لله كرزق الطير: تغدو خماصاً وترجع بطاناً.

فلم أعد أطلب من المال إلاَّ ما يقوم به العيش، ويقي الوجه ذلَّ الحاجة.

وطلبت متعة الجسد، وصرمت ليالي الشباب أفكر فيها، وأضعت أيامه في البحث عن مكانها وكنت في سكرة الفتوة الأولى، لا أكاد أفكر إلا فيها، ولا أحن إلاَّ إليها، أقرأ من القصص ما يتحدث عنها، ومن الشعر ما يشير إليها.

ثم كبرت سني وزاد عملي، **فذهبت السكرة وصحت الفكرة**، فرأيت أن صاحب الشهوة الذي يسلك إليها كل سبيل، **كالعطشان الذي يشرب من ماء البحر، وكلما ازداد شرباً ازداد عطشاً، ووجدت أن من لا يرويه الحلال ويقنع به ويصبر عليه، لا يرويه الحرام ولو وصل به إلى نساء الأرض جميعاً.**

ثم ولَّى الشباب بأحلامه **وأوهامه**، وفترت الرغبة، ومات الطلب، فاسترحت وأرحت.. **وقعدت أرى الناس.. أسأل: علامَ يركضون؟ وإلامَ يسعون؟ وما ثم إلاَّ السراب!.**

هل تعرفون السراب؟ إن الذي يسلك الصحراء يراه من بعيد كأنه عين من الماء الزلال تحدق صافية في عين الشمس، فإذا كد الركاب، وحثَّ الصحاب، ليبلغه لم يلق إلاَّ التراب.

هذه هي ملذات الحياة، إنها لا تلذ إلاَّ من بعيد.

يتمنى الفقير المال، يحسب أنه إذا أُعطي عشرة آلاف ليرة فقد حيزت له الدنيا، فإذا أعطيها فصارت في يده لم يجد لها تلك اللذة التي كان يتصوَّرها، وطمع في مئة الألف، إنه يحسُّ الفقر بها وهي في يده كما يحسُّ الفقر إليها يوم كانت يده خلاء منها، ولو نال الألف لطلب المليون، **ولو كان لابن آدم وادٍ من ذهب، لابتغى له ثانياً، ولا يملأ عين ابن آدم إلاَّ التراب.**

والشاعر العاشق يملأ الدنيا قصائد تسيل من الرقة، وتفيض بالشعور، يعلن أنه لا يريد من الحبيبة إلاَّ لذة النظر ومتعة الحديث، فإذا بلغهما لم يجدهما شيئاً وطلب ما وراءهما، ثم أراد الزواج فإذا تمّ له لم يجد فيه ما كان يتخيل من النعيم، **ولذابت صور الخيال تحت شمس الواقع كما يذوب ثلج الشتاء تحت شمس الربيع، ولرأى المجنون في ليلى امرأة كالنساء**، ما خلق الله النساء من الطين وخلقها (كما كان يخيل له) من القشطة، ثم لمأها وزهد فيها وذهب يجنُّ بغيرها.

ويرى الموظف الصغير الوزير أو الأمير، ينزل من سيارته فيقف له الجندي وينحني له الناس، فيظن أنه يجد في الرياسة أو الوزارة مثل ما يتوهم هو من لذتها ومتعتها، لحرمانه منها، ما يدري أن الوزير يتعود الوزارة حتى تصير في عينه كوظيفة الكاتب الصغير في عين صاحبها أوهام. **ولكننا نتعلق دائماً بهذه الأوهام**.

وفكرت فيما نلت في هذه الدنيا من لذائذ وما حملت من عناء، طالما صبرت النفس على إتيان الطاعة واجتناب المعصية، رأيت الحرام الجميل فكففت النفس عنه على رغبتها فيه، ورأيت الواجب الثقيل فحملت النفس عليه على نفورها منه، وطالما غلبتني النفس فارتكبت المحرمات وقعدت عن الواجبات، تألَّمْت واستمتعت، **فما الذي بقي من هذه المتعة وهذا الألم؟**.

لا شيء، لقد ذهبت المتعة وبقي عقابها، وذهب الألم وبقي ثوابه.

ولم أرَ أضل في نفسه ولا أغش للناس ممن يقول لك: لا تنظر إلاَّ إلى الساعة التي أنت فيها، فإن:

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

لا والله، ما فات ما مضى، ولكن كتب لك أو عليك، أحصاه الله ونسوه، والآتي غيب ولكنه غيب كالمشاهد، وما مثل هذا القائل إلاَّ كمثل راكب سفينة أشرفت على الغرق ولم يبقَ لها إلاَّ ساعات، فما أسرع إلى زوارق النجاه إسراع العقلاء، ولا ابتغى طوق النجاة كما يبتغيه من فاته الزورق، ولكنه عكف على تحسين غرفته في

السفينة الغارقة يزين جدرانها بالصور، ويكنس أرضها من الغبار، يقول لنفسه: ما دامت السفينة غارقة على كل حال، فَلِمَ لا أستمتع بساعتي التي أنا فيها؟.

يفسد عمره كله بصلاح هذه الساعة، وإذا عرض له العقل يسفه عمله فليضرب وجه العقل بكأس الخمر التي تعمي عينيه فلا يبصر ولا يهتدي، **وإن من الخمر لخمرة المال وخمرة السلطان.**

هذا مثال من يجعل هذه الدنيا الفانية أكبر همه، ويزهد في الآخرة الباقية، ولو عقل لزهد في الدنيا، لا يحمل ركوته وعصاه ويسلك البراري وحيداً، ولا يقيم في زاوية ويمد يده للمحسنين، فإن هذا هو زهد الجاهلين، وهو معصية في الدين.

إن الزهد الحق هو زهد الصحابة والتابعين، الذين عملوا للدنيا، واقتنوا الأموال، واستمتعوا بالطيبات الحلال وأظهروا نعم الله عليهم، ولكن كانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم، وكان ذكر الله أبداً في نفوسهم وعلى ألسنتهم، وكانت الشريعة نبراسهم وإمامهم، وكانت أيديهم مبسوطة بالخير، **وكانوا لا يفرحون بالغنى حتى يبطروا، ولا يحزنون للفقر حتى ييئسوا**، بل كانوا بين غني شاكر، وفقير صابر، **ومن يُحَصِّل المال وينفقه في الطاعة خير ممن لا يحصِّل ولا ينفق، بل يسأل ويأخذ، ومن يتعلم العلم ويعمل به خير ممن يعتزل الناس للعبادة في زاوية أو مغارة، ومن يكون ذا سلطان ومنصب فيقيم العدل، ويدفع الظلم، خير ممن لا سلطان له ولا عدل على يديه.**

وليست العبادة أن تَصُفَّ الأقدام في المحاريب فقط، ولكن كل معروف تسديه إن احتسبته عند الله كان لك عبادة، وكل مباح تأتيه إن نويت به وجه الله كان عبادة؛ إذا نويت بالطعام التقوّي على العمل الصالح، وبمعاشرة الأهل الاستعفاف والعفاف، وبجمع المال من حله القدرة به على الخير، كان كل ذلك لك عبادة، وكل نعمة تشكر الله عليها، وكل مصيبة تصبر لله عليها كانت لك عبادة.

والإنسان مفطور على الطمع، تراه أبداً كتلميذ المدرسة كلما بلغ فصلاً كان همه أن يصعد إلى الذي فوقه، ولكن التلميذ يسعى إلى غاية معروفة إذا بلغها وقف عندها،

والمرء في الدنيا يسعى إلى شيء لا يبلغه أبداً، لأنه لا يسعى إليه ليقف عنده ويقنع به، بل ليجاوزه راكضاً يريد غاية هي صورة في ذهنه ما لها في الأرض من وجود.

وقد يعطى المال الوفير، والجاه الواسع، والصحة والأهل والولد، **ثم تجده يشكو فراغاً في النفس، وهمّاً خفيّاً في القلب**، لا يعرف له سبباً، **يحس أن شيئاً ينقصه** ولا يدري ما هو؛ فما الذي ينقصه فهو يبتغي استكماله؟.

لقد أجاب على ذلك رجل واحد، رجل بلغ في هذه الدنيا **أعلى مرتبة يطمح إليها رجل: مرتبة الحاكم المطلق في ربع الأرض** فيما بين فرنسا والصين، وكان له مع هذا السلطان والصحة والعلم والشرف، **هو عمر بن عبد العزيز الذي قال: «إن لي نفساً توّاقة، ما أعطيت شيئاً إلاّ تاقت إلى ما هو أكبر، تمنت الإمارة، فلما أعطيتها تاقت إلى الخلافة، فلما بلغتها تاقت إلى الجنة»!.**

هذا ما تطلبه كل نفس، إنها تطلب العودة إلى موطنها الأول، وهذا ما تحسُّ الرغبة الخفية أبداً فيه، والحنين إليه، والفراغ الموحش إن لم تجده.

فهل اقتربت من هذه الغاية بعدما سرت إليها عن طريق العمر اثنتين وخمسين سنة؟.

يا أسفي! لقد مضى أكثر العمر وما ادَّخرت من الصالحات، ولقد دنا السفر وما تزودت ولا استعددت، ولقد قرب الحصاد وما حرثت ولا زرعت، وسمعت المواعظ ورأيت العبر، فما اتعظت ولا اعتبرت، وآن أوان التوبة **فأجّلت وسوّفت**.

اللهم اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت، فما يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم سترتني فيما مضى فاسترني فيما بقي، ولا تفضحني يوم الحساب.

ورحم الله قارئاً، قال: آمين.

* * *

١٤

مذهبي في الحياة

الأستاذ أحمد حسن الزيات

مذهبي في الحياة يتميز **بالاستقامة والوضوح**، وبفضل هاتين الميزتين بلغت الغاية التي قصدتها منذ وعيت، لم أبلغ الثراء الضخم، ولا الجاه العريض، ولكني بلغت العيش الرخي، والبال الرضي، والذكر الحسن. **والسعادة الحق أقرب إلى الرضا والسكينة منها إلى المال والمنصب.**

حرصت على أن يكون مذهبي مستقيماً، **حين كانت العقبة الضخمة تعترضني فأقف دونها طويلاً، أفتتها بمعولي الصغير حصاة حصاة إلى أن تذل وتزول.**

وحرصت على أن يكون مذهبي واضحاً، حتى كانت المشكلة الصعبة تعرض فيكون حلُّها يسيراً بشيء من النفاق وقليل من المصانعة، ولكني كنت أنفر من ذلك كله وأحاول أن أعالجه بالصدق والصبر والصراحة، فتنحل بعد أن تترك في النفس من الأثر ما يتركه الجرح في الجسد من الندوب، ولكن هذه الندوب ستظل على الزمن مثاراً للذة من لذات الروح تشيع فيها العزة والحرية والكرامة.

نهج لي هذا المذهب وألزمني إياه طبعٌ حرٌّ مسالم، فأنا منذ حملت نصيبي من عبء الحياة أحاول أن **أستقل في عملي عن إرادة الغير، وأستغني بقدرتي عن معونة الناس، فلم أضع يدي ولا عنقي في أغلال الوظائف الحكومية**، ولم أصعد العليق على

أكتاف الطوال من ذوي السلطان، وإنما اضطربت في مجالي الحيوي طليقاً من كل قيد إلا قيد الخُلُق، مستقلاً عن كل عون إلا عون الله. بذلك سلمت نفسي من رذائل الوظيفة، فلا جبن ولا رياء ولا ملق، وبرئت حياتي من نقائص التبعية فلا خضوع ولا إغضاء ولا ذلة.

مذهبي أن أدع الخلق للخالق فلا أنتقد ولا أعترض، ولا أمد عيني وراء الحجب، ولا أرهف أذني خلف الجدر، ولا أدس أنفي بين الوجوه، ولا أزحم بمنكبي من يمشي عن يميني أو عن يساري ما دام الطريق مفتوحاً أمامي إلى الوجه الذي أقصده. **لذلك عشت لين الجانب، سليم الصدر**، لا أدخل في جدل، ولا أشارك في مراء، ولا ألج في منافسة، وكان من جدوى ذلك عليَّ أن الله وقاني **عذاب الحسد**، وكفاني **شر العداوة**، وجعل ما بيني وبين الناس قائماً على المجاملة والمساهلة والود.

ومن مذهبي أن **أسقط الماضي من حساب الحاضر فور انقطاعه**، فلا أحزن على ما فاتني منه، ولا آلم لما ساءني منه، وتصيبني الخسارة فلا أجزع، أنما أطرحها من ربح الصحة والنجاح والأمن، ثم أدبر أمري على اعتبار أنها لم تكن، ويسوءني الصديق فلا أبتئس، إنما أحمل إساءته على حيوانيته، وأثرته، فإذا عاود الإحسان لا أعاتبه على ما كان ولا أذكره بما فعل، **وأي نفع أرتجيه من تعكير ما راق وإشعال ما خمد**. إني لا أصادق إلا من أحب، واللذة التي أجدها في حب الإنسان، تعوضني عن الألم الذي أجده في لؤم الحيوان.

* وللإيثار جانب عظيم من مذهبي في الحياة؛ فأنا أوثر صاحبي على نفسي في المجلس والحديث والهوى. وقد أوثره أحياناً بالمنفعة، لأن شعوري بأن أدخل السرور عليه، أو أجلب السعادة إليه أجمل في نفسي من شعوري بأن أتصدَّر في الجلوس أو أنفرد بالكلام أو أتغلب في الإرادة أو أختص بالفائدة.

ومن مذهبي أن **أكره الظهور وأمقت الدعوى** وأجتنب الفضول؛ فأنا أعيش في عزلة وأعمل في صمت وأمشي في قصد. وهذه الخلال قد تعوق عن الوصول في

عصر كهذا العصر، أعماله مظاهر، وأقواله هتاف، ورسائله إعلان، وغاياته شهوة، **ولكن الذين يندفعون إلى الأمام بهذه الدوافع لا يلبثون أن يفقدوا الأجنحة المصنوعة والمحركات المستعارة، فيقفوا حتى يفوتهم أولئك الذي يسيرون هوناً على أقدامهم الطبيعية، أو على مراكبهم الخاصة من غير أن ينالهم خزي أو يمسهم لغوب**، ومن أجل ذلك لم أدخل في حزب ولم أقف على منصة ولم أظهر في جريدة.

ومن مذهبي، أن أجعل **الجمال سبيلاً إلى الخير، ودليلاً على الحق، فأنا أتوخَّاه في اللباس والطعام والمسكن والأثاث، كما أتوخاه في النفس والفن والطبيعة**.

والمذهب طريق تذهب فيه، فإذا لم يكن له من الجمال شجر يحنو على جوانبه بالظل، وزهر ينسم على أفيائه بالعطر، وحادٍ يرفه على سالكيه بالنغم؛ **كانت الحياة بأساً من غير نعيم، وصحراء من غير واحة**.

* * *

١٥

تجاربي مع الحقيقة

المهاتما غاندي

ما أستطيع قوله في **ثقة**، نتيجة لخبراتي جميعها، هو أن رؤية الحقيقة كاملة لا يمكن أن تتم إلا بعد تحقيق الأهيمسا (**الحب**) **تحقيقاً كاملاً**.

ولكي يرى المرء «**روح الحقيقة**» الكلية الشاملة كل شيء، وجهاً لوجه، يتعيّن عليه أن يحبَّ أحقر الكائنات **حبه لنفسه**. والرجل الذي **يطمح** إلى ذلك لا يستطيع أن **يعتزل أي حقل من حقول الحياة**. وهذا هو السبب الذي من أجله قادني تعبُّدي للحقيقة إلى حقل السياسة.

وأستطيع أن أقول من غير أدنى تردد، ولكن في اتضاع كامل: إن أولئك الذين **يزعمون أن الدين لا علاقة له بالسياسة لا يعرفون معنى الدين**.

إن الاتحاد مع أيما شيء حي **مستحيل** من غير **تطهُّر ذاتي**. ومن غير تطهر ذاتي يظل التزام قانون الأهيمسا (**الحب**) **حلماً فارغاً**. إن الله لا يمكن أن **يدركه** امرؤ ليس طاهر القلب. وإذن فالتطهر الذاتي يجب أن يعني التطهر في **جميع مجالات الحياة**.

ولما كان التطهُّر **مُعدياً** إلى حد بعيد، **فلا بد أن يقود تطهير المرء نفسه إلى تطهّر ما حوله**.

ولكن سبيل التطهر الذاتيّ شاقة ووعرة، ولكي يبلغ المرء الطهارة الكاملة يتعيّن عليه أن **يتحرر من الهوى** تحرراً مطلقاً **في الفكر والقول والعمل**، أن **يسمو** فوق تيارات الحب والبغض والكلف والاشمئزاز، المتعارضة. أنا أدري أن نفسي ما زالت بعيدة عن الفوز بهذه الطهارة الثلاثية على الرغم من سعيي الموصول في سبيلها، وهذا هو السبب الذي من أجله **لا يستخفني إطراء العالم لي**، الواقع أنه كثيراً ما يلذعني لذعاً.

إن التغلب على **الأهواء الخفيّة** ليبدو أصعب في نظري من **فتح العالم بقوة السلاح**.

ومنذ عودتي إلى الهند أواجه أهواء **راقدة محجوبة في ذات نفسي**. ولقد أشعرتني معرفتي هذه الأهواء **بالذل والحقارة**، وإن لم تشعرني بالهزيمة.

لقد آزرتني الخبرات والتجارب وأوقعت في نفسي جذلاً عظيماً. ولكني أعلم أنه لا يزال أمامي **طريق وعرة** يتعين عليَّ أن أجتازها.

يجب أن أختزل نفسي إلى الصفر. وما دام المرء لا يجعل نفسه، طوعاً وعن طيب خاطر، في المرتبة الأخيرة بين أبناء جلدته **فلن ينعم بالخلاص**.

* * *

١٦

في خياراتنا يكمن نموُّنا

الأستاذ ستيفن كوفي

إحدى أعمق الخبرات التي غيرت حياتي بشكل حقيقي والتي لعبت دوراً مفاهيمياً أساسياً في تأليفي للعادات السبع، حدثت عندما كنت في إجازة في هاواي. ذات يوم كنت أتجوَّل على مهل بين رفوف إحدى المكتبات، وبما أنني كنت في حالة من التأمل والتفكر فقد التقطت أحد الكتب وقرأت فيه ثلاث جمل هزتني من الأعماق:

هناك مسافة بين المؤثِّر والاستجابة

في هذه المسافة تكمن حريتنا وقدرتنا على اختيار استجابتنا

في خياراتنا تلك يكمن نموُّنا وسعادتنا

عقلياً، كنتُ قد تعلمت من مصادري أننا أحرارٌ في اختيار استجاباتنا لكل ما يحدث لنا. ولكن في ذلك اليوم بالتحديد، وفي أثناء المزاج التأمُّلي وحالة الاسترخاء التي كنت فيها، فإن فكرة المسافة بين ما يحدث لنا واستجابتنا له صدمتني وكأنك ألقيت عليَّ طناً من الآجر. منذ ذلك الوقت بدأت أفهم وأعتقد أن مقدار هذه المسافة تحدده إلى حد كبير مورثاتنا أو طبيعتنا الحيوية والطريقة التي تربينا بها والظروف الراهنة.

قد تكون هذه المسافة كبيرة جدّاً عند أولئك الذين نشؤوا في بيئة منحتهم الكثير من الحب غير المشروط والدعم، وقد تكون صغيرة جدّاً عند آخرين نتيجة لتأثيرات وراثية وبيئية مختلفة، لكن الفكرة الأساسية هنا هي أن هذه المسافة موجودة واستخدامها هو الذي يعطينا الفرصة لتوسيعها. بعض الناس الذين يملكون مسافة كبيرة جدّاً قد يختارون الاستسلام عندما تواجههم ظروف مناوئة، ومن ثم يقلصون المسافة بين المؤثر والاستجابة، والبعض الآخر ممن يملكون مسافة صغيرة قد يسبحون عكس التيار، ويواجهون المؤثرات الوراثية والاجتماعية والثقافية القوية، **هؤلاء يتسع مجال حريتهم ويتسارع نموهم وتتعمَّق سعادتهم.**

إن الأشخاص الذين ذكرناهم في الحالة الأولى **لا يفتحون معظم الهدايا الثمينة التي ولدت معهم، وبالتدرج تصبح وظيفتهم في هذه الحياة محددة بظروفهم وليس بقدراتهم.** أما أصحاب الحالة الثانية **فإنهم يبذلون جهداً عظيماً وثابتاً، ويفتحون هذه الهدية العظيمة المتمثِّلة في حرية الاختيار، ويكتشفون القوة التي تفتح أمامهم كل الهدايا الأخرى التي حباهم الله بها منذ ولادتهم.**

* * *

١٧

هذا طريقي للنجاح

الأستاذ هربرت. هـ. لهمان

هناك عقيدتان، كانت لهما السيطرة على تفكيري، في حياتي الخاصة والعامة: أما إحداهما فقد تبدو للقارئ أمراً عادياً؛ وهي أن الحياة لا تعطينا إلا بقدر ما نقدم من خدمات. وأما الأخرى فهي أن **من الضروري أن نحترم آراء غيرنا وإن اختلفت عن آرائنا كل الاختلاف**.

وعلى هذا، عشت في كل أطوار حياتي مؤمناً كل الإيمان بأني مدين للحياة بقدر ما هي مدينة لي، وكنت لذلك حريصاً على الأخذ بهذه الفلسفة التي أعتقد صدقها في كل عمل أقوم به، وفي كل علاقاتي بالآخرين، سواءً في ذلك أهلي أو من أعمل معهم!.

ولقد دلتني التجارب العديدة على أن كل أمل أفعله، أو أقوله، أو أفكر فيه.. لا بد أن يكون له أثر مباشر في علاقاتي بمن يعنيهم هذا الأمر، ولا بد أن يكون هذا الأثر متفقاً مع العدل والجزاء الحق. ذلك لأن معاملتي لغيري هي في الواقع تمهيد للطريق الذي ينبغي لهم أن يسلكوه في معاملتهم إياي، **فالاحترام يبعث على الاحترام، والبغضاء يورث البغضاء، والارتياب يحمل على الارتياب**. ومن هنا قيل بحق: «إذا شئت أن تحصل على صديق مخلص أمين، فالطريق إلى ذلك أن تكون صديقاً مخلصاً أميناً».

إن الإخاء والتعاطف والشفقة والآداب الإنسانية وتكافؤ الفرص وقيمة الحياة، وما إلى ذلك. . . هذه كلها من الفضائل والحريات المدنية التي نعتز بها، ولا يمكن أن تكون حقائق واقعة نمارسها في حياتنا، إلا إذا حرصنا على **احترامها وتطبيقها**.

ولا شك في أن احترامي حرية الرأي، وحسن استماعي لآراء غيري وإن خالفت رأيي الخاص، مما أكسبني كثيراً من الدروس النافعة. وإذا كان تاريخ الأمم قد دلنا على أنه ما من أمة ما استطاعت أن تحتكر لنفسها الحكمة أو العلم أو غيرها من المواهب، **فليس من العقل إذن أن يظن أحد أن فرداً من الأفراد ـ مهما يبلغ من الحكمة والعلم ـ يمكن أن يكون في ذلك أوفر حظّاً وأكبر نصيباً من أمة قوية كاملة، فلا يكون الرأي إلا ما يراه هو وحده لا سواه!**.

وفي يقيني، أن مثل ذلك **الاستبداد بالرأي، والاستهانة بآراء الآخرين**، إنما يرجعان إلى ضعف ثقة صاحبهما برأيه، وإلى شك في قدرة هذا الرأي على الصمود للمناقشة والموازنة بينه وبين غيره من الآراء.

وإنه لمن التجنّي على المبادئ الديمقراطية الجوهرية، أن يحاول أحد منا أن يفرض رأيه فرضاً على مواطن آخر، أو أن يمنع هذا المواطن من إبداء رأيه في أي موضوع.

ولنا جميعاً أن نتفاءل خيراً، وأن نطمح إلى مَثَل أعلى لمستقبل بلادنا ولأولادنا وأحفادنا من بعدنا، **ما بقيت حرية الرأي مكفولة لجميع المواطنين**.

* * *

١٨

السعادة تنبع من الداخل

الأستاذ جان پـاول

لقد وضعت ظروف الحياة على طريقي أُناساً من فئات الشعب كافة. وعديدون هم الذين أشركوني في معاناتهم الخاصة كما في نجاحاتهم في الحياة. ومن خلال تلك العلاقات كلها كوّنت **بعض القناعات** عن السبل التي تبدو وكأنها تؤدي بالإنسان إلى السعادة. وإلى جانب خبراتي مع الناس هنالك جهودي الخاصة في البحث عن السعادة، ولديّ ذكريات عن نجاحي وأخرى عن فشلي. هنالك طرق تبدو رحبة ولكنها تؤول إلى طريق مسدود. وهناك قمم يجب تسلّقها خطوة خطوة. كما أن هنالك «فخاخاً» يسهل السقوط فيها.

عندما أستعرض ذكرياتي هذه تزيد قناعتي بأن **السعادة حال في متناول الجميع، ولكننا عندما نبحث عنها في الخارج فذلك يعني أننا نسلك طريقاً غير صحيح؛ فالسعادة كانت دائماً وما زالت، من الأمور التي تنبع من الداخل.**

وهناك استنتاج هام آخر: السعادة تأتي دائماً كنتيجة لحدث ما، نتيجة لعمل آخر نقوم به. إن السعادة كالفراشة لا يمكن للمرء أن يتتبّعها بشكل مباشر ليلتقطها، ولكن محاولات البحث عن السعادة بحد ذاتها فاشلة لا محالة، إنه بإمكاننا البحث مباشرة عن غالبية الأشياء والحصول عليها: المأكل والملجأ والمعرفة، ولكن الحال

مع السعادة ليست هكذا، أنت تبلغ السعادة فقط من خلال «أمر آخر».

وما هو هذا «الأمر الآخر»؟ إنني بعد أن تأمَّلْت طويلاً في **خبراتي**، تكوّنت لديّ قناعة بأن هذا «الأمر الآخر» يمكن تلخيصه في عشر مهمات أو ممارسات حياتية.. أنا أعرف أنَّ منكم من سوف يزيد على تلك المهمات العشر أو ينقص منها.. لا بأس، فليفعل ذلك بكل حرية، ولكن هذه اللائحة العشرية تشكل بالنسبة إليّ «الأمور الأخرى» التي يجب على المرء القيام بها ليختبر من خلالها السعادة في حياته؛ وهذه الأمور هي:

- عليَّ أن أقبل ذاتي كما أنا.
- عليَّ أن أتحمَّل مسؤولية حياتي كاملة.
- عليَّ أن ألبي ما فيّ من حاجات إلى الراحة والرياضة والغذاء.
- عليَّ أن أجعل من حياتي فعل حبّ.
- عليَّ أن أتحرر من أنانيتي.
- عليَّ أن أتعلم كيف أبحث عما هو حَسَنٌ وإيجابي.
- عليَّ أن أسعى في إثر النمو، لا الكمال.
- عليَّ أن أتعلم كيف أتقن الاتصال بالآخر.
- عليَّ أن أتعلم كيف أنعم بما هو حسن في الوجود.
- عليَّ أن أجعل من الصلاة شأناً من شؤون حياتي.

* * *

١٩

خلاصات تجاربهم في نقاط

عرفت بما جربت أشياءَ جمةً ولا يعرفُ الأشياءَ إلا المجرّبُ

‹عباس بن الأحنف›

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

القسم الرابع

في إطار الخبرة العملية

٢٠

نافذة على حياتي

الأستاذ أحمد أمين

لقد كتبت مرة مقالاً في وصف صديق، وكنت أستملي وصف هذا الصديق من نفسي، إذ عَنَيت به شخصي، وقد جاء فيه:

«لي صديق اصطلحت عليه الأضداد، وائتلفت فيه المتناقضات سواء في ذلك خلقه وعلمه.

حييٌّ خجول يغشى المجلس فيتعثر في مشيته، ويضطرب في حركته، ويصادف أول مقعد فيرمي بنفسه فيه، ويجلس وقد لفَّ الحياءُ رأسَه، وغض الخجل طرفه، وتقدم له القهوة فترتعش يده وترتجف أعصابه، وقد يداري ذلك فيتظاهر أن ليس له رغبة فيها ولا به إليها حاجة، وقد يشعل لفافته فيحمله خجله أن ينفضها كل حين، وهي لا تحترق بهذا القدر كل حين. وقد يهرب من هذا كله فيتحدث إلى جليسه لينسى نفسه وخجله، ولكن سرعان ما تعاوده الفكرة فيعاوده الهرب، حتى يحين موعد الانصراف فيخرج كما دخل، ويتنفس الصعداء بعد أن أدركه الإعياء.

من أجل هذا أكره شيءٍ عنده أن يشترك في عزاء أو هناء أو يدعى إلى وليمة أو يدعو إليها، إلا أن يكون مع الخاصة من أصدقائه.. يحب العزلة لا كرهاً للناس ولكن هروباً بنفسه.

ثم هو مع هذا جريء إلى الوقاحة، يخطب فلا يهاب، ويتكلم في مسألة علمية فلا ينضب ماؤه ولا يندى جبينه، ويعرض عليه الأمر في جمع حافل فيدلي برأيه في غير هيبة ولا وجل، وقد تبلغ به الجرأة أن يجرح حسَّهم، وينال من شعورهم، ويرسل نفسه على سجيتها فلا يتحفظ ولا يتحرز.

يحكم من يراه في حالته الأولى أنه أشد حياء من مخدرة، ومن يراه في الثانية أنه أجرأ من أسد وأصلب من صخر، ومن يراه فيهما أنه شجاع القلب، جبان الوجه.

وهو طموح قنوع، نابه خامل، تنزع نفسه إلى أسنى المراتب فيوفر على ذلك همه، ويجمع له نفسه، ويتحمل فيه أشق العناء وأكبر البلاء، وبينا هو في جده وكده وحزمه وعزمه إذ طاف به طائف من التصوف، فاحتقر الدنيا وشؤونها، والنعيم والبؤس، والشقاء والهناء، فهزئ به وسخر منه واستوطأ مهاد الخمول، ورضي من زمانه بما قسم له، وبينا يأمل أن يكون أشهر من قمر ومن نار على علم، إذا به يخجل يوم ينشر اسمه في صحيفة، ويذوب حين يشار إليه في حفل، ويردد مع الصوفية قولهم: «**ادفن وجودك في أرض الخمول؛ فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه**».

يعجب من يعرفه، إذ يراه معرفة نكرة، محبّاً للشهرة والخمول معاً.

وأغرب ما فيه أنه متكبر يتجاوز قدره ويعدم طوره، ومتواضع ينخفض جناحه وتتضاءل نفسه، يتكبر حيث الكبراء، ويتصاغر حيث يكبر الصغراء. يتيه على العظماء ويجلس إلى الفقراء يؤاكلهم ويستذل لهم، لا تلين قناته لكبير، ويحزم أنفه للصغير.

يحب الناس جملة ويكرهم جملة، يدعوه الحب أن يندمج فيهم ويدعوه الكره أن ينفر منهم. حار في أمره، وامتزج حبه في كرهه، فاستهان بهم في غير احتقار.

صحيح الجسم مريضه، ليس فيه موضع ضعف، ولكن كذلك ليس فيه موضع قوة..

ورأسه كأنه مخزن مهوّش أو دكان مبعثر وضع فيه الثوب الخلق بجانب الحجر الكريم. يتلاقى فيه مذهب السّنّة بمذهب النشوء والارتقاء، ومذهب الجبر بمذهب الاختيار، **وتجتمع في مكتبته كتب خطية قديمة في موضوعات قديمة، قد أكلتها**

الأرضة ونسج الزمان عليها خيوطاً، وأحدث الكتب الأوروبية فكراً وطبعاً وتجليداً. ولكل من هذين ظل في عقله وأثر في رأسه.

إن طاف طائف الإلحاد بفكره لم تطاوعه طبيعته، وإن شك حيناً عقله آمن دائماً قلبه. ومن أصدقائه السكير والزاهد، والفاجر والعابد، وكلهم على اختلاف مذاهبهم، يصفه بأنه **يجيد الإصغاء كما يجيد الكلام**».

وأزيد على ذلك: أني غضوب حليم، وكل من يراني يصفني بالهدوء والاتزان والحلم والسكينة، ولكني إذا غضبت تعديت طوري وخرجت عن حدي في قولي وتصرفي، **فيظهر أن التربية هي التي خففت من حدتي، وضبطت من نفسي**، أما مزاجي الطبيعي فعصبي غير هادئ، ولذلك أنفعل للحوادث أكثر مما ينفعل لها صحبي، فقد أكون جليساً لبعض الأصدقاء، فيأتينا خبر موت صديق أو كارثة نزلت بمن نعرف، فألاحظ أني أكثرهم انفعالاً وأشدهم تأثراً.

ثم قد ورثت من أبي «حَمْلَ الهم» والخوف من العواقب، والحياة قلما تخلو من هَمٍّ - همّ الأولاد ودراستهم، والمعيشة وتكاليفها، والوظائف ومتاعبها ونحو ذلك - والناس حولي تعتريهم هذه الهموم وأكثر منها فلا يأبهون لها كما آبه، ولا يفزعون منها كما أفزع، ويضحكون وسط همومهم ملء أفواههم ولا أستطيع أن أسير سيرهم، حتى لو عرض عليّ عشر حوادث تسع منها تستوجب السرور، وواحدة تستوجب الهم لغلبت الواحدة التسع.

شديد الحساسية للكلمة تمسني أو الفعل يجرحني، وقد لا أنام الليل لكلمة نابية سمعتها أو صدرت عني في حق صديق لي، ولكن كما أني شديد التأثر شديد التسامح، أغضب ممن يسيء إليّ، ثم سرعان ما يصفو قلبي ويتسع له صدري.

شديد الخوف على سمعتي الخلقية، فأتألم أشد الألم من كلمة تنشر إذا مست خلقي، **ولكني واسع الصدر جداً فيما يمس آرائي وأفكاري. فليس يحزنني نقد كتبي ولا نقد آرائي، بل أرتاح له وأغتبط به إذا اقتصر على حدود الرأي والفكر، ولم يتعدَّه إلى حدود الخلق.**

نعم يسرني كل السرور أن يقدر الناس كتبي وأفكاري، ولكن إذا نقدوها في أدب عددت ذلك ضرباً من ضروب تقديرها والاهتمام بها.

لديّ الشجاعة في قول الحق والتزام الصدق واحتمال الحرمان من مال أو جاه، ولكن ليس لديّ الشجاعة في احتمال شوكة تصيب أولادي أو **شيء يمس شرفي.**

لست كثير الثقة بنفسي، ولا بما يصدر عني، فالكتاب أؤلفه أو المقال أكتبه لا أثق بحكمي عليه بأنه جيد أو رديء حتى يقرأه الناس فيحكموا بجودته أو تفاهته، قد ألمح فيه الجودة أو التفاهة، ولكني لا أثق بحكم نفسي على نفسي حتى يؤيد الناس ظني أو يكذبوه. وأذكر مرة أني أعددت يوماً ـ وأنا مدرس بمدرسة القضاء ـ محاضرة موضوعها «**دقة الملاحظة**» وكان من عادتنا أن نعرض ما نكتب على عاطف بك بركات ناظر المدرسة فيجيزه أو لا يجيزه، **وقلَّ أن تخلو محاضرة يقرؤها من ملاحظات عليها يقيدها بالقلم الأحمر**، فبعد يوم ردّ إليّ المحاضرة، وليست عليها أية إشارة، فأيقنت أنها لم تعجبه جملة، ولم يرضَ عن شيء فيها، وأسفت لذلك أسفاً شديداً، وجعلت أبرر حكمه عليها، وأقول: ماذا تحتوي هذه المحاضرة من أفكار: فكرة كذا تافهة، وفكرة كذا مسبوقة، وفكرة كذا ليست بذاك؟! وهكذا حتى استسخفت كل ما فيها. ويوم الثلاثاء وهو موعد المحاضرة استدعاني صباحاً وسألني: لِمَ لم أعلن عن محاضرتي؟ فقلت: إنك استسخفتها. فقال: من قال لك ذلك؟! قلت: كل الدلائل، فلم تحدثني بشأنها، ولم تؤشر عليها وأرسلتها إليّ مع الساعي، ونحو ذلك. فقال: إني وجدتها كاملة فليس لي انتقاد عليها فلم أؤشر على شيء فيها. وسألت عنك فقيل لي: إنك في الدرس، فأرسلتها مع الساعي. **والمحاضرة قيّمة جدّاً.** فأخذت أستعيد في ذهني نقطها وأقول: إن فيها فكرة كذا وهي جيدة، وفكرة كذا وهي جديدة، وفكرة كذا وهي قيّمة، وألقيتها فاستحسنت فعددتها حسنة.

وهذا عيب فيّ لم أدرِ كيف نشأ، فخير للإنسان أن يثق بنفسه من غير غلوٍّ، ويقدر إنتاجه على حقيقته من غير إفراط أو تفريط.

أحب النظام حبّاً شديداً، فكل شيء في موضعه وكل شيء في وقته، كما أحب البتَّ السريع في الأمور من غير تردد طويل، **وأفضل سرعة البت ولو أنتج الخطأ على طول التردد ولو تبعه الصواب.**

أما حياتي اليومية فإنها تكاد تكون حياة رتيبة كأني قطار لا ينحرف عن السير على قضبانه، فلا مغامرات ولا مفاجآت؛ أصحو قبل الشمس دائماً مهما تأخرت في النوم، **وتلك عادة اعتدتها مذ كان أبي يوقظني في طفولتي لأصلي معه الفجر**، فإذا طلعت الشمس أفطرت فطوراً خفيفاً غالباً عماده اللبن، وإذا كان لديّ عمل خرجت إليه، وإلا ذهبت إلى مكتبي أو حديقتي أقرأ وأكتب إلى ما بعد الظهر، وهذا خير الأوقات عندي فائدة وأكثرها إنتاجاً، فإذا تغديت نمت بعد الغداء، وهي نومة تكاد تكون مقدسة، إذا لم أنمها تعكر عليّ سائر يومي. وكثيراً ما كانت هذه النومة سبباً لمتاعب كثيرة، فأنا لا أنام إلا في هدوء تام، وأي صوت ينبهني، وأي حركة تقلقني، فإذا بكى طفل أو حدثت حركة في البيت ذهب عني النوم، وغضبت وأغضبت، وكثيراً ما ثرت فآلمت، ويكفيني في هذا النوم نصف ساعة أو ما دونه، فإذا صحوت شربت قهوتي، وإذا لم يكن ثمة داع إلى الخروج عدت إلى مكتبي لأقرأ لا لأكتب، **فقلما ألفت في المساء لأني إذا كتبت هاج مخي، فإذا ما نمت بعد الكتابة لم أنم نوماً هادئاً، وظل عقلي يحلم ويحلم، ويبدي ويعيد فيما كنت أكتب؛ وليس الحال كذلك إذا اقتصرت على القراءة. ولذلك اعتدت أن أفكر وأقرأ مساءً ثم أكتب صباحاً غالباً.**

ولا أستطيع الكتابة إلا في هدوء تام فأي صوت يزعجني، وكم تمنيت أن يكون للأذن غطاء خاضع لإرادة الإنسان كما هو الشأن في العين.

وقد أستريح يوم الجمعة فأخرج إلى حلوان أو الأهرام أو القناطر الخيرية أو نحو ذلك لأنسى القراءة والكتابة؛ وأصيف في الإسكندرية أو رأس البر، فأحمل أهم كتبي معي وأشتغل بها كما أشتغل في أيام عملي، فلا أستمتع إلا بحسن الجو والسير أحياناً على شاطئ البحر، ولم أعتد ـ ولله الحمد ـ كيفاً إلا الدخان أدخنه ولا أبتلعه، كما لم أعتد أن **أضيع وقتي** في الجلوس إلى مقهى إلا لمقابلة في عمل، فإن ملت

إلى اجتماع بالناس فمع أصدقائي في لجنة التأليف، كما لم أعتد ضياع وقت في لعب نرد أو شطرنج.

وكنت في بدء حياتي العلمية كثير الفراغ، أصرفه في القراءة والكتابة، فألفت «فجر الإسلام وضحاه»، ثم قلّ فراغي باشتغالي بكثرة المجالس واللجان، فأنا عضو في المجمع اللغوي وفي مجلس دار الكتب ومجلس كلية الآداب ودار العلوم، ورئيس لجنة التأليف والجامعة الشعبية... إلخ، ومذيع في الراديو، **وكل هذه أكلت من وقتي، وبعثرت زمني، ووزعت جهدي، مع قلة فائدتها فيما أعتقد، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لرفضت كل هذه الأمور ونحوها وفرغت لإتمام سلسلة فجر الإسلام وضحاه وظهره وعصره، فقد كان ذلك أجدى وأنفع وأخلد، ولكن للظروف أحكام.**
ولست أميل إلى الاجتماع كثيراً، **ولا أحب يوماً يمر دون أن أخلو فيه إلى نفسي** بعيداً عن أهلي وولدي.

✵ وأستمر في القراءة إلى نحو الحادية عشرة فأنام، **وقد وضعت مصباحاً كهربائياً بجانب سريري أقرأ عليه حتى يغشاني النوم**، ولما أصبت في عيني منعني الأطباء من القراءة ليلاً فاستعنت على ملء وقتي **بمن يقرأ لي**.

وإذا علقت فكرة بذهني كانت شغلي الشاغل؛ أقرأ الكثير عنها وأفكر فيها وأحلم بها، وقد يخطر لي فيها خاطر إذا صحوت أثناء الليل فأذهب إلى مكتبتي وأضيئها وأستحضر الكتاب الذي أظنه يعالجها، وأقرؤه لتحقيق الفكرة والوصول فيها إلى نفي أو إثبات، ثم أعود إلى فراشي.

إذا حدث حادث سياسي أو اجتماعي ـ قومي أو إنساني ـ تأثرت به تأثراً يغطي على تفكيري العلمي. وهأنذا في هذه الأيام مرتاع لما أصاب البلاد العربية من أحداث فلسطين. **يقلقني جَدُّ الصهيونيين وهزل العرب**، واجتماع كلمة الأولين وتفرق الآخرين، ووقوف الأولين على أساليب السياسة الأوروبية والأمريكية والروسية، **وفهمهم الدقيق للأوضاع واستغلالهم الفرص السانحة، وجري الآخرين على سياسة الارتجال، وجهلهم بما يجري خلف الستار**، وتقصيرهم في جمع كلمتهم وتوحيد

خططهم، ويفزعني ما أحرزه الصهيونيون من نجاح لم يكن يتوقعه حتى أكثرهم تفاؤلاً وأوسعهم أملاً، وأكرر السؤال على نفسي: ماذا سيكون المصير لو استمر الصهيونيون في جدهم واستعدادهم وتكاتفهم.. واستمر العرب في هذلهم وتخاذلهم؟ وكثيراً ما أحاول الكتابة في موضوع علمي أو أدبي ثم أصرف عنه بهذا الحزن وهذا الجزع، وأقول: إني كنت أَعْجَبُ من ضياع الأندلس من يد المسلمين وسائر الأقطار لا تحرك ساكناً للإغاثة ولا تمد يداً للمعونة، واليوم بعد قرون طويلة تتجدد المأساة فتضيع فلسطين من يد المسلمين **ولا عبرة من الأحداث ولا استفادة من التاريخ**، ويغيث المسلمون شكل إغاثة لا حقيقة إغاثة، ويعاونون معاونة كان خيراً منها عدمها، فيا لله للمسلمين...

ثم لي **نزعة صوفية** غامضة، فأشعر في بعض اللحظات بعاطفة دينية تملأ نفسي ويهتز لها قلبي، وأكبر ما يتجلى هذا عند شهود المناظر الطبيعية الرائعة، كالمزارع الواسعة، والأشجار اليانعة، والنجوم اللامعة، وطلوع الشمس وغروبها، والبحار وأمواجها، والطيور وتغريدها، فأشعر ـ إذ ذاك ـ بميل إلى احتضانها، وأود لو ركزت في كأس فأشربها، وأحس بنشوة إذ أراها وأرى الله فيها، ولكني ـ مع ذلك ـ **أشعر بأسف على أني لم أُنَمِّ هذه النزعة كما يجب، ولم أتعهدها وأرعَها كما كان ينبغي**.

ومزاجي فلسفي أكثر منه أدبياً، حتى في الأدب، **أكثر ما يعجبني منه ما غزر معناه ودق مرماه**، فيعجبني الجاحظ وأبو حيَّان التوحيدي وابن خلدون أكثر مما يعجبني الحريري والقاضي الفاضل والصاحب بن عباد وطريقته، والعماد الأصفهاني ومدرسته، ويعجبني المتنبي لولا إغرابه أحياناً **وتكلفه**، والمعري لولا **تعالمه**، وأُفَضِّلُهما على أبي تمام **وتقعره**، ولا يعجبني في البحتري إلا قصائد معدودة، ولا يهتز قلبي لأكثر شعر الطبيعة في الأدب العربي، لبنائه على الاستعارة والتشبيه لا على **حرارة العاطفة**، ولهذا كان لي **ذوق خاص في تقدير الأدب، فضلت اتباعه مجتهداً ـ ولو كنت مخطئاً ـ على تقليد غيري في تقديره ولو كان مصيباً**.

لو استعرضت حياتي من أولها إلى آخرها لكانت «شريطاً» فيه شيء من الغرابة وفيه كثير من **خطوط متعرجة**، فما أبعد أوله عن آخره، وما أكثر ما فيه من **مفارقات**، وتغير في الاتجاهات، ومخالفة للاحتمالات، فمن كان يراني وأنا في مدرسة أم عباس الابتدائية يظن أنني سأكمل دراستي الابتدائية والثانوية، وقد أكمل الدراسة العالية وأشغل الوظيفة التي تتفق ونوع الشهادة: معلماً أو قاضياً أو مهندساً أو نحو ذلك. ثم تغير هذا الاتجاه فجأة إلى الأزهر، فمن كان يراني في الأزهر يظن أني إما أن أنقطع عن الدراسة فأكون إماماً في مسجد، أو مدرساً في مدرسة أهلية أو نحو ذلك، أو أتممها فأكون عالماً في الأزهر، له كرسي بجانب عمود من عمده يجلس عليه بعمامته الكبيرة وجبته الواسعة، يشرح المتن والشرح والحاشية. ثم تغير هذا الاتجاه أيضاً فجأة إلى مدرسة القضاء؛ فكان أكبر الظن أن أكون كزملائي قاضياً شرعياً يتنقل في مناصب القضاء حتى يكون رئيس المحكمة الشرعية العليا أو قريباً منه، ولكن تغير أيضاً هذا الاتجاه فاتصلت بالجامعة، وكنت أستاذاً بكلية الآداب، وعميداً لها.

وتغيرت عقليتي تبعاً لهذا التغير، فلم تعد عقليتي تنسجم مع العقلية الأزهرية؛ بل ولا مع زملائي من مدرسة القضاء. ومنذ قليل قابلت صديقاً كان من أحب الأصدقاء إليّ في مدرسة القضاء وأقربهم إلى عقلي، فحادثته وأطلت الحديث معه، **فإذا أنا في واد وهو في واد**.

وكم من الفروق بين معيشتي الأولى ومعيشتي الأخيرة! وإن الفرق بينهما ـ كما قال الجاحظ ـ كالفرق بين امرئ القيس إذ يقول:

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

وقول علي بن الجهم:

فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة من الخمر فيما بيننا لم تَسرَّبِ

كنت في البيت كالذي وصفته ـ أولاً ـ في منتهى السذاجة والبساطة، لا ماء في

المواسير، ولا آلة من آلات المدنية الحديثة، فأصبحت أسكن في بيت فيه الحديقة، وفيه أثاث المدنية الحديثة. . . وفيه الراديو والتليفون وما إلى ذلك.

ولم أركب القطار في حياتي الأولى إلا وأنا في السادسة عشرة من عمري، ركبته إلى طنطا فحزنت وبكيت، وفي آخر حياتي ركبت الطيارة من القاهرة إلى لندن وأنا مسرور مبتهج. وكنت أمشي على رجلي من بيتي في المنشية إلى الأزهر، وأعود من الأزهر ومعي منديل كبير فيه (الجراية) أنقله بين يدي اليمنى ويدي اليسرى، ومن كتفي اليمنى إلى كتفي اليسرى، فأصبحت أنتقل حتى المسافات القصيرة في سيارة. وكان أبي يعلمني في كُتَّاب كالذي ذكرت، فأصبحت أعلم أولادي في رياض الأطفال وما إليها، ولا يعجبهم أن ينتقلوا في الدرجة الأولى في الترام والأوتوبيس، ويتطلبون سيارة يتنقلون بها، وكنت أضرب على الشيء التافه الصغير فأحتمل، ولا أثور ولا أغضب، فصار أبنائي يغضبون من الكلمة الخفيفة والعتاب المؤدب، وكنت لا أؤاخذ أبي على حرماني من الضروريات، فصار أبنائي يؤاخذونني على حرمانهم من الإسراف في الكماليات. **وكنت وصرت، مما يطول شرحه، فما أكثر ما يفعل الزمان!**.

لقد بدأت في شبابي أرسم حياتي المستقبلة من خيالي، وأرسم المثل العليا لي في خلقي ومسلكي وإصلاحي، ثم اصطدمت هذه المثل بالواقع، وبالبيئة التي حولي، وبالصعاب التي صادفتني، وبكثير من الناس أخلفوا ظني، كل هذا وأمثاله كان يأكل من البنيان بنيته للمثل الأعلى الذي وضعته، لقد حاولت أن أقف أمام هذه التيارات ولكني لم أستطع أن أثبت في مركزي، فجرفني التيار معه قليلاً أو كثيراً، ومن أجل هذا كنت في شبابي خيراً مني في شيخوختي، وفي أول عهدي أكثر تفاؤلاً مني في آخر عهدي. لكم تمسكت في شبابي بالمبدأ وإن ضرَّني، واستقلت من عمل يدر عليّ الربح لأني رأيته يمس كرامتي، وبنيت آمالاً واسعة على ما أستطيعه من إصلاح وما أحقق من أعمال، ثم رأيت كثيراً من هذه الآمال يتبخر، وما أنوي من أعمال يتعثر، وها أنذا في شيخوختي قد أقبل ما كنت أرفض، وقد أتنازل عن بعض المبادئ التي

كنت ألتزم، فالوسط وأحاديث الناس وكثرة الأولاد وتوالي العقبات وضعف الإرادة بطول الزمان قد تضطر الإنسان إلى التنازل عن بعض مثله العليا، ويعجبني قول من قال:

عصيت هوى نفسي صغيراً وعندما رماني زماني بالمشيب وبالكبر

أطعت الهوى، عكس القضية، ليتني ولدت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

ومع هذا فإني أحمد الله إذ منَّ عليَّ بالتوفيق في أكثر ما زاولت من أعمال: فيما ألفت من كتب ـ في عملي بلجنة التأليف ـ في الجامعة الشعبية في الجامعة المصرية ـ في عمادة كلية الآداب؛ كذلك كان الشأن في حياتي الأدبية والمالية والعائلية: **نعمٌ من الله لا أستطيع أن أقوم بالشكر عليها.**

وهي ظاهرة يصعب تعليلها العقلي، أو تفسيرها بالتحليل الاجتماعي والنفسي. فكم رأيت من أناس كانوا أذكى مني وأمتن خلقاً وأقوى عزيمة، وكانت الدلائل تدل على أنهم سينجحون في أعمالهم إذا مارسوها، ثم باؤوا بالخيبة ومنوا بالإخفاق، **ولا تعليل لها إلا أن** ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

* * *

٢١

الأربعون.. شباب الفكر الثاني

الأستاذ إبراهيم عاصي

هأنذا أستشرف الأربعين، وأشق الطريق نحوها حثيثاً.. فبأيٍّ دروس الماضي أتجه صوبها؟ وبأيِّ تجارب السنين وعبرها أدنو منها؟.

الدروس والتجارب وفيرة ومتنوعة، ولعل أحقها بالذكر تجربة (**السعادة**)؛ هذا اللغز الذي ما زال يحيِّر السابقين و اللاحقين. ويحدوهم للسعي أن يقبضوا عليه ويحوزوا مفتاحه دون كلل أو ملل!!.

الخطأ الكبير الذي يقع فيه الناس ـ فيما أرى ـ هو أنهم يحسبون أن السعادة إنما تتجسد في (الحيازة)؛ فالطالب ـ مثلاً ـ يرى أن سعادته تتحقق عندما (يحوز) النجاح! أو العزباء أو الأعزب يرى أن سعادته تتم عندما (يحوز) العروس! والمريض يراها في (حيازة) الصحة! والفقير يراها في (حيازة) المال! والخامل يراها في (حيازة) الجاه والمنصب، وهكذا...

هذا التصور لمفهوم السعادة وكنه السعادة تصور (قاصر وسطحي)! ودليل ذلك هو أن السعادة التي يتمتع بها أولئك جميعاً وأمثالهم، **سرعان ما تتلاشى وتنعدم بعامل(الإلف)**، وعامل (الإلف) هذا سرعان ما يحصل؛ إذ إن **لكل جديد لذة ومتعة**، فحالما تذهب الجِدَّة ـ وذهابها وشيك ـ يحصل (الإلف)، **ومتى حصل الإلف غدت**

الأمور عادية، ويتراءى للإنسان آنئذ أن سعادته تكمن في شيء آخر فيأخذ نفسه بالجهد للحاق به والركض في إثره فلعله (يحوزه) ويسعد به، **وتظل الحلقة مفرغة ويظل يدور فيها عبثاً إلى أن تنقضي الحياة!!**.

وبهذا نستطيع أن نفسر سبب (شقاء) الكثير من الأغنياء، والكثير من الحكام، والكثير من الأصحاء، والكثير من العُرُس والعرائس!!.

إن الذين يرون السعادة تتجسد في (الحيازة)، إنما يرون السعادة شيئاً يأتي من (**خارج**)، ويهبط من (**شاهق**)، وهذا هو سر (القصور) وسر (السطحية) فيما يتصورون!.

إن السعادة ليست بالشيء الذي ينضاف إلى الإنسان أو يُلحق به أو يهبط عليه.. **إنها شيء ينبع من (داخل)، ويتفجر من الأعماق ويفيض فيضاً عن النفس.. وتلك هي السعادة الأصيلة، الراسخة، الصادقة، الغامرة، التي لا تعبأ (بِجدَّة) أو (قدم)، ولا تتحول بتحول المنصب والمال، ولا تخضع لظروف الصحة والألم.. إنها ـ باختصار ـ تلك التي تنبثق عن (الحب)!!**.

لقد وجدت السعادة في (الحب)، الحب الصادق بكل ألوانه ومعانيه.. فمن أحب عمله سعد به ونجح فيه. ومن أحب زوجته أو أحبت زوجها، كان البيت لهما هو الجنة، وكان القرب هو النعيم. ومن أحب الناس سعد بهم وأسعدهم ورأى المجتمع من حوله سعيداً. ومن أحب (الجمال)، الجمال المطلق؛ سعد بكل ما هو جميل.. وإنه ليسعد آنئذٍ بزرقة البحر، ورعشة النجم، وبراءة الطفولة، وخضرة المروج، وتنفس الصبح، وغبش الأفق في المساء، وهدأة الكون في جوف الليل.. كما يسعد بالحق إذْ ينتصر، وبالعدل إذ يسود، وبالخير إذ يصيب الآخرين، وبالفضيلة إذ يتزيا بها الناس.

ومن أحب الله ـ **وحب الله هو أمتع حب وأسمى حب** ـ فقد نال سعادة الدارين، وحلّق في سماء الكون بجناحين تحليق طائر فردوسي غرِد تعالى عن كل الدنايا، واستسلم لموج الأثير يتهادى فوقه كزورق بشراعه الآمن، لا يبالي ما أصابه، وعلى أيّ شطٍّ ألقى مراسيه. حب الله هو منبع كل حب.. هو إكسير السعادة الآبدة التي لا شقاء بعدها... هو نور إذا ما سكن القلب أضاء جوانبه، فلا هم بعد ذلك ولا غم،

لا سخط ولا يأس.. حب الله يورث المحب سكينة النفس وراحة الضمير، **وعلى قدر (الحب) يكون (القرب)**، وبالقرب من الله يُمنح الضعفاء قوة فيتماسكون، ويشعر الأقوياء بالضآلة فيتواضعون، ويُلهم الأغنياء الشكر فيجودون، ويطمئن المحتاجون إلى أنهم في كنف غنيّ وهّاب لا ينفد ما عنده ولا ينسى أحداً من عطائه، فيسكن روعهم ويهدؤون..

وبالقرب من الله يستأنس الغرباء والمرضى فلا يستوحشون ولا يجزعون.. وفي ذلكم كله سعادة وأية سعادة؟! إنها سعادة اللوَّاذ بحمى القوي الذي لا يقهر.. وسعادة التواضع في جنب الجبار الذي لا يُطاوَل.. وسعادة الجود والبذل شكراً على النعم.. وسعادة الأنس والأمل بالذي هو عند حسن ظن عبده به.

على أن القرب من الله لا بد له من وسائل، وأول وسائله **(الذكر)** ذكر الله بجوارح خاشعة وقلب حاضر منكسر، ومن هنا كان المعرضون عن ذكر الله هم أشقى الأشقياء في الدارين، وفيهم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

ومن هنا أيضاً كان **(الحاقدون) و(الحاسدون) هم التعساء، وكانوا هم المعذبين في الأرض على مدى السنين.**

ولا أغشك يا قارئي فأتركك تسترسل في توهمك أني من الذين لا تنفك عنهم السعادة بسبب أنهم ملكوا زمامها، وعرفوا سرها على نحو ما سلف.. يا ليت! يا ليت لو أني كنت من المحبين حقّاً! ويا ليت لو أني كنت من الذاكرين المواظبين!! إنها مجرد تجارب معدودة وإن كانت أكيدة.. إنها مجرد نفحات قليلات استمتعت بها عبر كل هذا العمر الطويل الذي انقضى!! من ذلك مثلاً ذات يوم من عام (١٩٦٦م) مسني طائف من الشيطان أخذ يوسوس لي، فضاق صدري وغُمّ عليّ حتى كدت أختنق من كرب وإحساس بالظلم.. إلا أنني سريعاً ما (تذكرت) فإذا أنا (مبصر)، وإذا بروحي

تصفو وبنفسي تشف.. وإذا أنا مع الله، والله معي أحس به يسمعني ويراني ويرعاني.. وإذا بلساني يردد، وبقلمي يكتب مناجاة طويلة كان منها:

«... فليغضب الأنام وأنت راض، ولتقسُ الحياة وأنت رحيم، وليشمت الشامتون وأنت المنتقم، فأنا في كنفك هانئ، وفي رعايتك سعيد، وبنورك مستأنس، اللهم إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي. اللهم بالنظر إليك ترفعت عمن سواك، وبالتوكل عليك زهدت في غيرك ممّن خلقت، وبتعلق القلب فيك هان عليّ ما ألقى ـ ولعلي حتى الآن ما لقيت شيئاً ـ فاللهم لا تبلُني، وإذا بلوتني فثبتني على الحق وصبرني، ولك الحمد حتى ترضى يا سيدي وحبيبي.. يا الله». وغمرتني بعدها لحظات ربانية من السعادة لا أنساها ما حييت.

ـ وقد وجدت أن **معيار الصدق في (الدين) هو الصدق في (المعاملة)**، بحيث أنني لو أبصرت ـ بأم عيني ـ الرجل (المتدين) يطير في السماء ويمشي على الماء، ثم يسيء معاملة الناس ويأكل حقوقهم أو يماطل في أدائها.. لقلت بلا تردد: إنه كذاب، دجال، منافق!!.

ـ ووجدت أن رضا الوالدين يذلّل كل صعب، ويهوّن كل عسير، ويفتح كل مغلق، ويورث الحفظ والأمان، والتوفيق والاطمئنان.

ـ ووجدت أن **الثبات على الحق، والاسقامة على المبدأ، تكسب المرء احترام الخصم قبل الصديق**، وتجعل له مهابة في عين الشانئ قبل المحب!.

ـ ووجدت أن (**التسامح**) هو الدليل الأنور على كرم النفس وبُعد النظر معاً؛ فهو إما أن يقع منك على عاقل فيعرف لك ـ ولو بعد حين ـ الفضل والمروءة، فيصافيك ويؤاخيك.. وإما أن يقع على جاهل فيتمادى مع الآخرين، ولا بد أن تماديه ـ في النهاية ـ مهلكه ومُرديه، **وقديماً قيل: (حلم معاوية قتل الغلام)!**.

ـ ووجدت أن **التعالي على الصغائر والصغار، هو الترياق السحري الذي يعافي الأعصاب من التمزق بلا طائل، ولا يزيد (الخفافيش) إلا تباراً**.

ـ ووجدت أن أجدر الناس بالاحتقار هو **الكذاب**، وأحقهم بالرجم هو **الظالم**.

وأن أخطر الناس على الناس هو **المنافق**.

وأن أوضع الناس في الناس هو (**الذَّنَب**).

ـ كما وجدت: أن أعمى الناس بصيرة وبصراً هم **الملحدون**.

وأن أخبث الناس طوية هم **الباطنيون**.

وأن شرَّ الجناة في المجتمعات هم المترفون.

ثم قلت: ولعله من المناسب ـ وأنا على أبواب الأربعين ـ أن أضع نفسي ـ ولو من بعض جوانبها ـ في ميزان نفسي، فماذا ـ إن فعلت ـ عساني أجد؟!.

ـ وجدتني لا توسط عندي في مزاجي؛ فأنا إمّا ليِّن هادئ كظوم.. أنساب عذباً شفيفاً كالماء. وإما صلب عنيد، لاسيما في مواقف التحدي أو التجاوز على ما أعتبره عقيدة أو كرامة.

وبعبارة أخرى: وجدتني كالنحلة، أبذل للآخرين ـ وفي طليعتهم الأصفياء والأحباب ـ من رحيق مودتي وشهد وفائي.. إلا أنني لا ألبث أن أخز وخزاً ـ لا يخطئ ولا يتردد ـ أنف أيّ متطاول غشوم!.

ـ ووجدتني دقيق الملاحظة حساساً، ولدرجة الإفراط أحياناً! وإنه لإفراط لا أغبط عليه لكثرة ما يرهقني، فوقاكم الله وعافاني.

ـ ووجدتني ـ وربما كانت هذه نقطة ثانية من نقاط ضعفي ـ أذوب تحناناً وحسرة في مواقف الوداع ـ أي وداع ـ فتفيض عيناي بدموع صامتة حرّى، تنبجس من القلب!! إلا أنه قد يشفع لي أني أهتز طرباً ونشوة في مواقف العدل والمروءات، وترقرق لذلك في مقلتيّ عبرات الفرح والشوق..

ويا أهلاً بالأربعين... **شباب الفكر الثاني**.

* * *

٢٢

تعلمت من قوائم الكتب

الأستاذ أنور الجندي

من ألطف ما كان يلفت النظر في سن السابعة عشرة لجيلنا سطر صغير في الصحف، يكمن في اسم مكتبة من المكتبات وقد كتب تحته «ترسل قائمة المكتبة مجاناً لمن يطلبها»؛ إذن فليس هناك بيني وبين الحصول على كتاب ضخم في أربعمئة صفحة من أن أرسل خطاباً في البريد ويحقق لي هذا الأمل. وما دام الريف لا يقدم لنا إلا تلك الخزائن التي تحوي الكتب الصفراء؛ **ولم نكن نعرف قيمتها وما فيها من جواهر وذخائر هي سر عظمة أمتنا وخلاصة فكرها**، وبعد أيام قليلة يرد البريد إلى قريتنا وفيه هذا الكتاب الضخم «قائمة مكتبة»، وقد أصبحت عادة، ما أن تعلن مكتبة عن نفسها حتى نسارع بالإرسال طالبين القائمة.

ومن حقٍّ، لقد كانت هذه القائمة في هذه السن في الثلاثينيات من هذا القرن متعة لا حدَّ لها. وهي عوض مسعد عن مطالعة هذه الكتب أو رؤيتها في رفوفها الزجاجية بألوانها الخلابة وأغلفتها المنوعة.

كانت هذه القوائم تبدأ دائماً بالتعريف بالمكتبة وحسن معاملتها واستعدادها لتلبية رغبات عملائها، محددة أسعار العملة وطريقة التحويل وخصم الجملة للمكتبات

والمدارس وطلبات الجملة. وهنا نص أساسي هو: أن جميع الطلبات يجب أن تكون مصحوبة بعربون لا يقل عن ثلث الثمن.

وكانت هذه القوائم مقسمة إلى أبواب تبدأ بالقرآن الكريم وطبعات المصاحف المختلفة على الورق الأبيض والورق الأصفر، والمجلدة تجليداً مذهباً وتجليداً عادياً، والأحجام الكبيرة والأحجام المتوسطة والصغيرة، ثم يليها كتب التفسير والحديث النبوي والفقه، ثم التصوف والزهد والعقائد والمواعظ، ثم يلي ذلك التاريخ والسير والتراجم ودواوين الشعر واللغة بقواميسها العربية ومعاجمها، ثم دوائر المعارف والموسوعات والقصص، والفلك، والرياضيات، والهندسة، والزراعة، والمنطق، والاجتماع، والأخلاق، والعلوم، ثم التربية، وعلم النفس، والمحاسبة، والاقتصاد.

وكان يلفت نظري بوجه خاص **كتب التراجم والسير** والتاريخ، ثم كتب الأدب، **وأتمزز ببطء** تلك السطور القليلة المكتوبة تحت اسم كل كتاب، تصف مضمونه وما يحويه من أبواب وفنون، **وكنت أعاود قراءة هذه الكلمات بين حين وحين**، رغبة في الحصول على أكبر قدر من المعلومات التي عجزت عن الحصول عليها بقراءة الكتاب نفسه.

ومن الحق أن هذه **القوائم** وأنا لا زلت طالباً في أول الشوط، قد **أمدتني بكثير من المعلومات العامة إن لم تكن عميقة فإنها على الأقل متسعة تتصل بفنون مختلفة من الثقافة العربية والفكر الإسلامي العريق**. وإذا كان لي أن أحدد اليوم ـ وبعد حوالي أربعين عاماً ـ الانطباع الأساسي الذي انعكس من بعد على **كتاباتي وإنتاجي، فإنني أقول بحق: إن الإدمان على قراءة قوائم الكتب في مطالع الصبا قد أعطاني طابع التكامل والشمول في مجال الثقافة والفكر**، فلم يعد تقديري قائماً على لون واحد هو «الأدب»، ولكني أصبحت أحس بأن الأدب ليس إلا قطاعاً من الفكر العربي الإسلامي الواسع الآفاق الذي يضم الاجتماع والاقتصاد، والسياسة، والدين، والأدب، والعلم، والتربية، و الفن، والأخلاق، وأن هذه القطاعات كلها لا يمكن أن تدرس في الفكر

الإسلامي والثقافة العربية منفصلة أو مجزأة، ولكنها تتكامل وتتداخل، ولا يأتي التخصص فيها إلا في المراحل العليا، أما القيم الأساسية فيها فإنها تمثل كياناً متكاملاً يدور حول **الإنسان والكون والمجتمع**، ويحاول أن يحقق له العدل والحرية، وتلك عظمة الفكر الإسلامي العربي في تكامله حيث يشمل قطاعي الثقافة الإنساني: **الروح والمادة**.

وإني لأذكر كيف كانت **مطالعة قوائم الكتب تجعلني في مقدمة زملائي** الطلاب في الصفوف المختلفة، وكيف كانت موضوعات الإنشاء تتسم بطابع **يلفت النظر**.

وقد هداني ذلك إلى أن ألقي محاضرة عام (١٩٣٢م) في المدرسة الابتدائية عن «الأدب العربي الحديث» أعرض فيه للعقاد، والمازني، والزيات، وطه حسين، وهيكل، وشوقي، وحافظ، وأحمد محرم، وأتحدث عن مؤلفاتهم وموضوعاتهم، وخاصة كتاب «ساعات بين الكتب» للعقاد، و«قبض الريح» للمازني، و«روفائيل وآلام ڤرتر» للزيات، و«الأيام» لطه حسين، وفي «أوقات الفراغ» لهيكل، ويومها عدت إلى درجي في الفصل فوجدته مقلوباً مضطرباً، فقد عنّ لبعض الأسائذة أن يبحث عن كراسة الإنشاء ليقارن بين ما ذكرت في المحاضرة وما أكتبه في هذه الكراسة ظناً منه أنني **«سرقت» هذه المحاضرة من بعض المجلات**.

وما زلت أذكر كيف أنني دعيت لمرافقة بعض الفلاحين يوم قطع الفيضان جسر بلدتنا حيث أقيم لي عريش صغير في أحد الحقول لنقل الحطب إلى الجسر لحمايته، وكيف أن هؤلاء الفلاحين قد ذهبوا يجنون بقايا الأقطان من الحطب ويضمونها إلى عبوبهم، ثم رأوا في آخر اليوم أن يشكروني في حصيلة ما جمعوه، فقدموا لي مبلغاً من المال، وقد رفضته على الفور، **غير أن بعضهم كان يعرف هوايتي في قراءة قوائم الكتب**[1]، فأسرع وقد عرف عنوان هذه المكتبة، فاشترى حوالة بريد باسمي بالمبلغ الذي رفضته، قائلاً: **«إنك تحب الكتب ولذلك فإن هديتنا إليك ستكون بعض هذه**

(١) قيل قديماً: من لزم شيء.. عرف به.

المؤلفات». . وما زلت أذكر كيف تلقيت بعد أيام «ربطة» ضخمة كانت تحوي بعض مؤلفات هؤلاء الكتّاب. **وقد فرحت بها فرحاً لا حد له وكانت هي نواة مكتبتي**، ولا تزال بها حتى اليوم.

وما زلت أذكر إلى اليوم عن ذلك الكاتب الأديب المجهول الذي كان يكتب في قوائم المكتبات تلك السطور القليلة تحت كل كتاب في التعريف به، ويبدو أنه كان أحد رجال الأزهر الذين يعملون في هذه المكتبة أو تلك، غير أن هذا الفن ـ **فن التعريف بالكتب ـ قد تقدم في السنوات الأخيرة تقدماً باهراً، وأصبح يقوم به رجال متخصصون**، أذكر منهم اليوم الأستاذ محمد عبد الغني حسن الذي أشرف على قوائم عدد من دور الكتب الكبرى، ولقد أعد نوعاً من القوائم السريعة الشبيهة بالمجلات تحت اسم «بريد الكتاب».

ولقد كانت تجارة الكتب في العقود الأولى من هذا القرن عملاً مربحاً للناشرين وأصحاب المكتبات، بينما كان إيرادها ضئيلاً جدّاً بالنسبة للمؤلفين، ولقد كان أمثال العقاد والمازني يبيعون مؤلفاتهم للناشرين لقاء جنيهات قليلة لا تتجاوز أحياناً أصابع اليد الواحدة ويحصلون عليها قروشاً وأنصاف ريالات. ويشترط الناشر أن يكون له حق طبع هذه الكتب وإعادة طبعها مدى الحياة.

فضلاً عن ذلك، **فقد تنبه** أصحاب المكتبات إلى طبع الكتب التي ليس لأحد حق فيها، فطبعوا عشرات الكتب القديمة في وقت كانت أسعار الورق زهيدة جدّاً، وإنني لأذكر كيف سافرت من بلدتي في الريف إلى القاهرة، وقد تجمع لي بعض الجنيهات، في سبيل الحصول على مجموعة من الكتب، فلما ذهبت إلى المكتبة المرموقة في مكانها المعروف في قلب القاهرة، قال لي البائع: إن هذه الكتب ليست عنده ولكنها في المخازن الموجودة قريباً من الأزهر، فلما ذهبت إلى هناك إذا بي أجد قبواً مهيباً مظلماً تحت الأرض وقد علا عليه نظام الشوارع الجديد فاختفى وأصبح يضاء بالفوانيس والكهرباء، وإذا بي أمام مدينة كاملة تحت الأرض تتكدس فيها الكتب على اختلافها بأعداد ضخمة وفي غرف واسعة، وحواصل عديدة، **وذكرت كيف تنبه**

هؤلاء الناشرون إلى أن مثل هذه الكتب ستصبح فيما بعد ثروة ضخمة لهم ولأبنائهم. . وقد كان.

وهكذا كان شغفي بقوائم الكتب مقدمة لخط واضح ما زلت أسير فيه إلى اليوم، هو خط الكتب والتأليف والطبع والنشر، وما زلت كلما وقعت في يدي قائمة من قوائم المكتبات أذكر مطالع حياتي الأدبية منذ أربعين عاماً وأنا قابع في الريف، أحلم برفوف الكتب وواجهات المكتبات التي لم تكن زجاجية في ذلك الوقت، **وكان يمر بخاطري يوماً أن يكون لي كتاب معروض**، فلما قدمت القاهرة وأقمت بها، قرأت عشرات من هذه الكتب، وأصبح لي منذ بضع وعشرين سنة موقعاً في دار الكتب لا أغيب عنه إلا لماماً، وقد قرأت به مئات من الكتب، بل قد اضطررت وأنا أعد «الموسوعة الإسلامية العربية» الجامعة، أن تكون لي قائمة تضم أسماء الكتب التي تلزمني وأرقامها، حتى لا يضيع الوقت كل يوم في البحث عن هذه الأرقام. **ومن ثم عكفت على دراسة ما يزيد عن نصف مليون بطاقة أخذت من الوقت أكثر من خمسة أشهر راجعت فيها بطاقات يحويها أكثر من ١٨٠ صندوقاً**، وأعددت من خلال ذلك مجلداً ضخماً يحوي أكثر من خمسة آلاف كتاب، هذا بالإضافة إلى فهارس ضخمة للصحف والمجلات التي صدرت من عام (١٨٧١م) حتى اليوم، ومنها فهرس خاص لأعداد صحيفة الأهرام التي صدرت في الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين، يحوي مواد الأهرام الأدبية والفكرية والاجتماعية والأحداث التاريخية.

وقد علمتني قوائم الكتب كثيراً، علمتني حاجة الباحث الملحة إلى متابعة كل ما يصدر من مؤلفات، فكل يوم يصدر كتاب جديد، ولعل كتاباً يصدر في موضوع، أو عن شخصية ما، يغنينا عن ساعات طويلة قد تكفل بها هذا الباحث.

ولقد ظهرت في السنوات الأخيرة بعض المؤلفات الجامعة التي تعين الباحث على الوصول إلى المراجع التي يحتاج إليها، وفي مقدمتها «قوائم المكتبات العامة»، وقوائم الدوريات الصحفية، وهناك «معجم المؤلفين» للباحث العلاّمة عمر رضا

كحالة، و«المصادر الأدبية» للباحث المكتبي يوسف أسعد داغر، بالإضافة إلى «الأعلام» للزركلي.

ومن حق، أن قوائم الكتب، كانت ولا تزال، نافذة ثرة تطل على عالم الفكر العربي الإسلامي، وتعطينا أول ما تعطينا انطباع التكامل والشمول الذي يتمثل به هذا الفكر جامعاً بين العلوم والفنون والآداب في سمت واحد متصل لا ينفصل.

* * *

٢٣

لا تظاهر بالعداوة أحداً

الإمام ابن الجوزي

مما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحداً **ما استطاع**، فإنه ربما **يحتاج إليه** مهما كانت منزلته.

وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يوماً ما كما لا يحتاج إلى عويد منبوذ[١] لا يلتفت إليه.

لكن كم من محتقر احتيج إليه. فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضر.

ولقد احتجت في عمري إلى ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطُّف بهم.

واعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا يعلم؛ **لأن المُظَاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضرباً**، وقد يلوح منه مضرب خفي، وإن اجتهد المتدرع في ستر نفسه فيغتنمه ذلك العدو.

---

(١) عويد: تصغير عود (مثل بويب...)/ منبوذ: مُلقى بلا اهتمام.

فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد ألاّ يظاهر بالعداوة أحداً لما بينت من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض وإقدار بعضم على ضرر بعض.

وهذا فصل مفيد تبين فائدته للإنسان مع تقلب الزمان.

* * *

٢٤

تجربتي الثمينة والقاسية

الأستاذ ديل كارنيجي

عندما قدمت إلى نيويورك في بادئ الأمر، من مزارع الذرة في ميسوري، التحقت في الكلية الأميركية للفنون المسرحية؛ إذ كنت مصمّماً أن أصبح ممثلاً؛ كانت لديَّ فكرة اعتقدت أنها رائعة، وهي طريق قصير إلى النجاح، حتى إنَّني لم أفهم ما لم يكتشفه آلاف الطموحين.

كنت أدرس كيف توصّل الممثلون المشهورون، أمثال: جون درو، وألتر هامبدن، وأوتيس سكيز ـ إلى أهدافهم.. بعد ذلك أخلد أفضل مزاياهم، فأجعل من نفسي نجماً لامعاً ناجحاً. لكن كانت هذه الفكرة سخيفة وواهية! إذ عليّ أن أمضي عدة سنوات من حياتي **أقلّد الآخرين** قبل أن أكتشف فكرة أكيدة وهي أن **أكون ذاتي، وأنني لا يمكن أن أكون غير ذاتي**.

كان يجب أن تعلمني هذه التجربة القاسية درساً لا يُنْسَىٰ.. لكنها لم تفعل؛ إذ إنني كنت **عنيداً**، وكان عليّ أن أتعلم درساً ثانياً. فبعد عدة سنوات، إذ جهزت نفسي لكتابة ما تأمّلت أن يكون أفضل كتاب يصدر عن فنّ الخطابة المخصص لرجال الأعمال؛ فلجأت إلى الفكرة السخيفة ذاتها في كتابة هذا الكتاب: إذ قرّرت أن أستعير الأفكار من الكتّاب الآخرين وأجمعها في كتاب واحد.. كتاب يجمع الكثير من

الأفكار.. جمعت عدداً من الكتب المتخصّصة بفنّ الخطابة، وأمضيت سنة في صياغة الأفكار بكلماتي الخاصة، لكنني علمت أخيراً أنني أتصرف بحماقة! إذ إن خليط الأفكار التي جمعتها كان مفكّكاً ومملاً، حتى ما من رجل أعمال اطّلع عليها.. وهكذا ألقيت بعمل سنة كاملة في سلة المهملات، وبدأت من جديد، وقلت في نفسي: «**يجب أن تكون ديل كارنيجي، بجميع أخطائه وحدوده. ولا يمكنك أن تكون شخصاً آخر**». وهكذا تخلّيت عن محاولة كوني مزيجاً من الرجال الآخرين، فشمّرت عن ساعدي وقمت بما كان عليّ القيام به منذ البداية، ووضعت كتاباً عن فنّ الخطابة **مستوحياً الأفكار من تجربتي الخاصة ومن ملاحظاتي ومعتقداتي كخطيب ومعلّم**. تعلّمت الدرس الذي تعلمه السير والتر راليه: (لا أتحدث هنا عن السير والتر راليه الذي ألقى بمعطفه على الوحل لتمر عليه الملكة)! بل عن أستاذ الأدب الإنكليزي في أوكسفورد عام (١٩٠٤م)؛ إذ قال: «**لا أستطيع أن أضع كتاباً يوازي كتب شكسبير، بل أستطيع أن أضع كتاباً بقلمي**».

* * *

٢٥

انطلق من أسوأ الظروف

الأستاذ ويليس كاريير

أنا ويليس كاريير، أعمل مهندساً في شركة كاريير ذات الشهرة العريضة في سيراكيوز بولاية نيويورك. وتعتبرني الشركة رأس مال لها، مما يجعلني في موقف الممتن على الدوام. لكن الحياة لم تسر معي دائماً بصورة تدعو إلى الغبطة والارتياح. على العكس من ذلك، فقد جابهت في شبابي أياماً عسيرة. وكان القلق هو أعسر ما جابهته من معضلات. وإنني لأذكر حادثة واحدة بهذا الصدد، وهي كافية للتدليل على أن بوسع المرء أن يقهر القلق ويتغلب على مخاوفه إذا شاء. . غير أن هذا يتطلب **بعض الحكمة وقليلاً من المجازفة**.

أما تلك الحادثة التي لا تزال آثارها منطبعة في ذاكرتي؛ فهي:

عندما كنت شاباً التحقت بوظيفة في شركة فورج بمدينة بفلو من أعمال ولاية نيويورك. وفي ذات يوم استدعاني مدير الشركة وكلفني بمهمة خاصة، وكانت تلك المهمة أن أبتكر آلة لتنقية الغاز في مصنع تابع لشركة عميلة هي «شركة بتسبرج للزجاج»، وهي تقوم في مدينة كريستال بولاية ميسوري، حيث أنشأت مصنعاً كلفها مليون دولار.

وبدأت العمل.. وجعلت أرهق أعصابي عَلّي أخترع آلة تضمن لشركة فورج حقها في تقاضي الأتعاب المتفق عليها مع شركة بتسبرج.

وبعد عناء مرير وفقت إلى ابتكار آلة جديدة، فاستطارني الفرح.. لكن الفرحة لم تطل ويا للأسف؛ إذ إن الآلة أخفقت في تجربتها العملية الأولى.

نعم، إنني لم أدخر وسعاً، كما أنني لست بليداً، ولكن تنقية الغاز كانت فنّاً لا يزال في مراحله الأولى، ولهذا برزت لي عقبات لم أكن قد أخذتها بعين الحسبان.

أذهلني الفشل، وأحسست وكأنما لا جدوى من حياتي الباقية، فهل أظل أحمل رأساً يذكرني على الدوام بأنني فاشل؟! لم أعد أطيق النوم، وساء لديّ الهضم، وأصابني إمساك دائم نتيجة لاضطراب الأعصاب في الأمعاء، وغدت الدنيا ضباباً كثيفاً أسود في ناظري. ألست فاشلاً؟!.

وأخيراً، ومن ثنايا هذه الحالة النفسية المضطربة الأليمة **بزغ لي نور باهت من الفكر! وبفضله اهتديت إلى طريقة بسيطة، أعادت لي مرح الحياة، إن لم أقل دفعتني إلى سلم النجاح والصعود**، حتى غدوت مديراً للشركة نفسها.. لقد عثرت على **وصفة تريحني مما أنا فيه**، وهي تتكون من ثلاث خطوات:

الأولى: أخذت أحلل الموقف، منطلقاً من أسوأ الفروض فقلت: ترى ماذا ستفعل بي الشركة لو أخفقت كلية؟ إنها لن تلجأ إلى القضاء فتسجنني، ولن تنجح لو حاولت الحصول على حكم بإعدامي.. إذن، سأظل رجلاً كما أنا.. نعم إنها ستفقد عشرين ألف دولار دفعتها على أمل التوصل إلى ابتكار جديد، لكن ما الذي يمنعها أن تضيف هذا المبلغ على حساب الأبحاث في فروعها؟!.

والثانية: إن كل ما تستطيعه الشركة هي طردي.. ومن السهل حينذاك أن أعثر على عمل في شركة أخرى.. نعم، سيكون لديّ نقطة سوداء في الوظيفة الجديدة **ولكن هذا لن يسد الطريق أمامي لأن أبدأ الحياة ثانية من جديد**، وسأشرح لرؤسائي الجدد في تلك الحال أنه **ليس محتوماً أن تنجح جميع تجارب المبتكرين**، وأن الفشل هو الأصل في الاختراعات، أما النجاح فهو الشاذ الذي لا تنطبق عليه القاعدة.

وانتهيت من هذه الفرضيات، **ووطدت العزم على تقبل مهما يحدث**. . وحينئذ شعرت بكثير من الارتياح والاطمئنان، وأحسست بنسبة من الثقة تتسلل إلى نفسي. فتحسنت صحتي، وفارقني الاضطراب، وانقلبت رجلاً متحدياً للحياة بثقة. وعقب ذلك رأيت نفسي أنجرف نحو الخطوة الثالثة.

والثالثة: ما دام الفشل هو الأصل، فلماذا لا أحاول التخفيف من هذا الفشل بأن **أنقذ ما يمكن إنقاذه؟!** إنه كسب لي على كل حال.

وكانت تراودني فكرة؛ لكني متهيب من تطبيقها لأنها تكلف خمسة آلاف دولار. . ففكرت: إن الشركة لن تتأثر بخمسة آلاف دولار فيما لو أخفقت بعد تطبيق هذه الفكرة. وما دامت قد افترضت أنها قد تخسر عشرين ألفاً، فلن يخل بميزانيتها لو كان ذلك (٢٥) ألفاً. إذن، فلأطبق الفكرة. وفعلت، وكنت الآن أعمل بصفاء ذهن، وبروح يفعمها التحدي، ومن حسن الحظ أن تلك الفكرة كانت صائبة، فنجح الاختراع، وكسبت الشركة (١٥) ألف دولار بعد تسديد مختلف النفقات.

والآن، أراني في موقف الناصح المجرب لكل من يضايقه القلق، فأقول: **انطلق من أسوأ الظروف، ووطد العزم على تقبل أسوأ النتائج، وحينئذ تتحرر طاقاتك المكبوتة التي كان يشلها القلق، وتشعر بشيء من الحياة الجديدة تدب في جسدك وعقلك على السواء.**

* * *

٢٦

أعمق خبرة عشتها

الدكتور ڤيكتور فرانكل

أعمق خبرة عشتها هي في معسكر الاعتقال. إذ لم يزد عدد الأشخاص الذين بقوا على قيد الحياة في المعسكر عن واحد من كل عشرين شخصاً، كما يمكن التحقق من ذلك بسهولة عن طريق الإحصاءات الدقيقة. وقد بدا بالنسبة لي أنه من غير الممكن حتى إنقاذ المخطوط الخاص بكتابي الأول والذي خبأته في معطفي حينما وصلت إلى معسكر آوشويتز. لذا كان عليّ أن أتحمل فقدان ابني الروحي وأن أتغلب على هذه المحنة. وتراءى لي في ذلك كما لو أنه لن يبقى لي في هذه الحياة أي شيء أو أي شخص؛ لا ابن بالجسد ولا ابن بالروح! وهكذا كان عليّ أن أواجه السؤال الهام؛ وهو ما إذا كانت حياتي تحت تلك الظروف **لها معنى أم خالية من المعنى تماماً؟**.

لم ألاحظ حينذاك أن إجابة على هذا السؤال الذي كنت أتصارع معه بعنف كانت مختزنة بالفعل عندي، وأنه سرعان ما سأتوصل إلى هذه الإجابة فيما بعد. هذه كانت حالتي حينما كان عليّ أن أسلم ملابسي وأن أَرِثَ بدلاً منها خرقاً بالية لنزيل أرسلوه بالفعل إلى حجرة الإعدام بالغاز فور وصوله إلى محطة السكك الحديدية في آوشويتز. وبدلاً من الصفحات الكثيرة لمخطوطي، عثرت في جيب المعطف الذي أخذته حديثاً على صفحة واحدة ممزقة تحوي بعض الصلوات. كيف أقوم بتفسير هذه

الصدفة[١] على أنها تحدٍّ **لكي أعيش أفكاري بدلاً من مجرد وضعها على الورق؟**.

وأتذكر أنه بعد فترة وجيزة، بدا لي أني سأموت في المستقبل القريب؛ إلا أنه في هذا الموقف الحاسم، كان اهتمامي مختلفاً عن اهتمامات معظم زملائي. فكان السؤال الذي يعنيهم: «هل سنبقى أحياء بعد المعسكر؟ لأنه، إذا لم يكن الأمر كذلك، فكل هذه المعاناة بلا معنى». أما السؤال الذي كان يشغلني أنا، فهو: «**هل لكل هذه المعاناة، ولهذا الموت من حولنا، معنى؟ لأنه إذا لم يكن الأمر كذلك، فلن يكون هناك معنى للبقاء، لأن الحياة التي يتوقف معناها على تلك الأحداث العارضة ـ مثل ما إذا كان السجين سوف يفر من المعسكر أم لا ـ لا تكون جديرة بالعيش على الإطلاق**».

* * *

(١) لا يوجد في الحياة صُدف؛ إنما هي أقدار الله تعالى.

٢٧

ثورة في التغيير

الأستاذ أنتوني روبنز

أجريتُ في عام (١٩٨٣م) تمريناً حقق بالنسبة لي مستقبلاً **غير كل مناحي حياتي**، إذ إنني وضعت لنفسي مجموعة جديدة من **الأهداف** كجزء من عملية شاملة لرفع مستويات متطلباتي، ولذا سجلت كل الأمور التي **لن أقبلها بعد**، إلى جانب تلك التي **ألتزم بأن تكون في حياتي**. . **وضعت جانباً كل القناعات التي تحد من قدراتي**، وجلست على الشاطئ لأسجل كل ذلك.

أخذت أكتب لثلاث ساعات متواصلة محاولاً أن أتذكر كل **الإمكانيات** التي يمكنني أن أتصور أن **أقوم بها، أو أكونها، أو أمتلكها، أو أبتدعها، أو أجربها، أو أساهم بها**. وكان خط الزمن الذي أعطيته لنفسي لتحقيق هذه الأهداف يمتد **من الغد إلى مدى السنوات العشرين التالية**. لم أتوقف قط لأفكر فيما إن كنت سأستطيع فعلاً **تحقيق تلك الأهداف أم لا، بل حاولت أسر أي احتمال يمكن أن يكون مصدر إلهام لي وسجلته**.

بعد تلك البداية قمت بتحسين تلك العملية بعد ستة أشهر حين تمت دعوتي إلى جانب عدد من اختصاصيي العلوم المرتبطة بعلم النفس إلى روسيا لدراسة الظواهر

النفسية مع خبراء في الجامعات في مختلف أنحاء روسيا. وبينما كانت المجموعة التي كنت فيها تتجول في أنحاء البلاد كنت أقضي الساعات الطوال في القطار ونحن ننتقل من موسكو إلى سيبيريا ثم إلى لينينجراد. لم يكن لديَّ ما أكتب عليه سوى ظهر خارطة قديمة لروسيا، كتبت عليها أهدافي طويلة المدى والتي تتعلق بمصيري من النواحي الروحية، والذهنية، والعاطفية، والبدنية، والمالية، ثم وضعت سلسلة من **المعالم** لكل من هذه الأهداف على أساس تسلسل عكسي.

فمثلاً، لكي أحقق أعلى هدف روحي لي في غضون عشر سنوات من هذا التاريخ، فكيف عليّ أن أكون كشخص؟ وما هي الأشياء التي عليّ **إنجازها** في غضون تسع سنوات من الآن، وثماني سنوات، وسبع سنوات و... إلى أن أصل بالتسلسل العكسي إلى اللحظة الراهنة؟ **ما هو الإجراء المحدد الذي يمكنني اتخاذه هذا اليوم بحيث يقودني على ذلك الطريق الذي سيوصلني إلى المصير الذي اخترته؟**.

في ذلك اليوم، وضعت أهدافاً محددة حوّلت حياتي.. وصفت لنفسي مفَصّلاً مثلاً فتاة أحلامي، كيف يجب لها أن تكون ذهنيّاً وعاطفيّاً وبدنيّاً وروحيّاً. كما وصفت لنفسي الدخل الذي يتوجب عليّ أن أحصله، والبيت الذي سأعيش فيه، بما في ذلك المكتب الدائري في الطابق الثالث والذي يطل على المحيط.

بعد عام ونصف من ذلك التاريخ كانت مجلة «لايف» تزورني في بيتي لتجري مقابلة معي حول السبيل الذي اتبعته لإحداث تلك التغييرات التي لا تصدّق في حياتي! وحين أخرجت تلك الخارطة لأطلعهم على كل الأهداف التي كنت قد سجلتها، كان من المدهش أن ترى **كم من هذه الأهداف قد تحقق بالفعل**. فلقد قابلت المرأة التي وصفتها وتزوجتها، ووجدت واشتريت البيت الذي تصورته بكل تفاصيله، بما في ذلك المكتب الدائري في الطابق الثالث في البرج الذي يطل على المحيط. حين كتبت

تلك الأهداف في البداية لم تكن لديَّ على الإطلاق معطيات تؤكد لي بأن من الممكن تحقيق هذه الأهداف؛ ولكنني كنت مستعدّاً **لتعليق أحكامي لفترة وجيزة من الوقت** لكي أفسح المجال لأهدافي كي تتحقق[1].

* * *

(١) تعليق: لا يمكن لأي منا مهما بلغ شأنه، أن يصنع قدره بنفسه كما يرد في بعض القناعات التي تُصدَّر إلينا اليوم عبر النوافذ الإعلامية المتنوعة سواء منها المقروءة أو المسموعة أو المرئية. إنما هو رسم.. وتخطيط.. وتوكل تام ـ لا تواكل فيه ـ على اللطيف الخبير. ورضاء كامل ـ دون حرج ـ بقضاء الله عز وجل وقدره بعد كل ذلك، ومعه، وقبله، ورحم الله القائل: «ربما أعطاك فمنعك.. وربما منعك فأعطاك» ولطالما سمعنا وقرأنا عن أناس كان المنع بالنسبة لهم هو عين العطاء.

٢٨

خلاصات تجاربهم في نقاط

ألـم تـرَ أن الـعـقـل زيـنٌ لأهـلـه ولـكـن تـمـام الـعـقـل طـول الـتـجـارب

‹شاعر عربي›

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

القسم الخامس

في إطار الخبرة التربوية

٢٩

تجربتي وشهادتي

الأستاذ عبد الواحد علواني

في نهاية العقد الثاني من عمري.. كانت تجربة العمل قد استهوتني.. وكنت يومها طالباً يعيد فحص الشهادة الثانوية بحثاً عن معدل أعلى، **وكان من الضروري أن أختار عملاً قريباً من الهاجس الدراسي.**

وتوجهت للتعليم المؤقت (وكالة) من بين الخيارات المتاحة، متزوداً من شغفي الكبير بالقراءة.. وبعض الكتب التي سبق أن قرأتها في مجال التربية وعلم النفس.. وبدأت تجربتي عازماً على أن أكون **مختلفاً عن النمط السائد**، وأن تكون التجربة مجالاً للاكتشاف والبحث.

منذ اليوم الأول غيَّرْت نمط العلاقة بيني كمعلم وبين التلاميذ.. بعد أن قاموا بتحية الصباح الصاخبة، طلبت منهم الجلوس.. وجلست في آخر مقعد في القاعة، طالباً منهم الاجتماع حولي لنوقّع بشكل شفهي عقد صداقة!.

الدهشة عقدت الألسن، وفاضت من العيون، ران عليهم صمت المترقب.. فقد اعتادوا لخمس سنوات خلت أن يواجهوا كل سنة معلماً جديداً لا يختلف عن سلفه إلا بالشكل.. وهذا معلم جديد يبدو مختلفاً.. ولكن!.

كان الأمر بالنسبة لهم ممزوجاً بالحيرة.. لأن النمط الجديد يتطلب تجاوباً

مختلفاً عن طبيعة تجاوبهم السابقة.. ومع ذلك لم تخلُ نظراتهم من شعورهم بأن الأمر لا يعدو كونه دعابة أو فخّاً!.

كنت أعلم أنني لا أملك الزاد الكافي لأكون معلماً حقيقياً.. وخاصة أن علاقتي طارئة ومؤقتة.. ولكن ثقتي بإمكانية تحقيق ما هو أفضل ـ على الأقل ـ ويقيني بأن لدى التلاميذ ما أتعلمه منهم مثل ما لديَّ ما أعلمه لهم، دفعاني لتجشم طريقي هذا بثقة ومتعة.. وكان لا بد من تغيير نمط العلاقة كلياً بسلبياتها وإيجابياتها..

وبناء هذه العلاقة من جديد وضمن منظور جديد تقتضيه الظروف والمعارف. ولمع في خاطري سؤال تحذيري: إذا اعتاد التلاميذ هذه العلاقة المختلفة.. كيف يتمكنون من تقبل العلاقة المألوفة (سابقاً) في سنواتهم القادمة؟ وهل تكون تجربتي هذه وبالاً عليهم فيما بعد؟!.

لم تثنني المحاذير عما قررت.. كان لا بد من عقد صداقة مع الأطفال، **أساسها تبادل المعرفة والثقة والتقدير، وديدنها تقديم أفضل ما عندنا جميعاً.. معلماً وتلاميذ!**.

شطبت من ذهني كل المعلومات التي أسرت إليَّ بها المعلمة التي استلمت منها التلاميذ، إذ أشارت إلى المتفوقين والكسالى والمهذبين والمشاغبين والعدوانيين.. وما إلى ذلك من التصنيفات الدارجة على ألسنة المعلمين عادة.. وكنت مصرّاً على أن أبدأ مع كلّ منهم نفس البداية!.

كانت المهمة تبدو ممتعة إلى حدّ ما.. ولكن!.

مهدت ليومي الأول بالاتفاق مع مدير المدرسة والموجه التربوي المسؤول، وطرحت عليهم رؤيتي.. فكان نصيبي منهما ابتسامة غامضة إلى حدّ ما، مع أنها كانت واضحة تماماً.. إضافة إلى بعض التوجيهات والنصائح والأسس والمبادئ والقواعد والطرق... إلخ، فأدركت منذ البداية أن أصعب مهمة تواجه المربي أو المعلم هي **الذهنية التربوية**، وخاصة **ذهنية المكاتب**... بدت لي مهمتي مستحيلة للحظات.. ولكن خياري كان أن أستمر في تجربتي كما أريد.. أو أن أنسحب بهدوء!.

كانت الآراء تأتي بصيغة ما ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، والوجوه مغبرة تفوح منها رائحة الثياب القديمة..

وكان التصعيد ينذر بإشغالي عن هاجسي الرئيس (الدراسة) وهاجسي الجديد (تجربة التعليم) فلم يكن أمامي إلا أن أمد جسور الثقة بيني وبينهما، والتحايل عليهما إلى حدّ معين لإزاحتهما من المسافة الفاصلة بيني وبين التلاميذ.

كان مدير المدرسة من معارفي.. فاعتمدت على معرفتي الاجتماعية به، إضافة إلى بعض الأريحية التي يتمتع بها، وطلبت منه أن يكون حاجزاً بيني وبين الموجه التربوي، الذي يخفي وجهه وراء نظارات ثقيلة، وملامح صارمة، وكلمات جافة.. وكانت الصفقة أن أقدم مقابل هذه التغطية عدداً من النشاطات المدرسية المميزة، ليفاخر بها المدارس الأخرى وتسجل في رصيده.

الصفقة يسرت لي أموري إلى حين.. وعندما بدأت يومي الأول باجتماع التلاميذ حولي.. بدأت علاقة من نوع آخر؛ علاقة غريبة وغامضة لأنها **بالغة الوضوح**.. واكتشفت تلك القدرة الهائلة للأطفال على التجاوب واستيعاب التبدلات والتحولات، واكتشفت ذلك الغرور الأحمق الذي يتملكنا نحن الكبار عندما نفترض أننا أكثر قدرة على التفهم والحكمة!.

كنت أعلم **أن الصداقة لا تتم بمعزل عن الصدق**.. ولا بمعزل عن الندية والتنافس بمفهومهما الإيجابي، ولكي تكون تجربتي معهم حقيقية وصادقة يجب أن تقترن بالصدق بلا حدود، وأن أنبذ كل المفاهيم والموروثات (**التحايلية**) في المناهج التعليمية، قدر الإمكان، **وأن تكون التجربة تجربة مشتركة.. وليست تجربة لي وحدي!**.

كنت على ثقة أن الطفل يتجاوز أخطاء الكبار بحقه.. ويستطيع أن يتقبل ببعض الجهد ذلك النمط التلقيني السائد في عملية التعليم، ولكن لكي يكون مبدعاً ومحلقاً.. لا بد من اقتران **المعرفة بالمتعة، والتعليم باللعب، والتربية بالتسلية والفائدة**.. لا بد من اقتران **السبب والنتيجة**.. **والشكل والمضمون**... إلخ.

أن تعقد صداقة مع طفل لا يعني أن تستله من طفولته ليواكبك، إنما أن تجاريه في طفولته وتواكبه، فكيف إذا كنت أمام مجموعة من الأطفال؟! وعقد الصداقة مع الأطفال كان فيه نوع من فرض هذه العلاقة عليهم، **ولكن الأطفال عامة يتقبلون صداقة الكبار لهم.. المشكلة أن الكبار لا يتقبلون صداقة الأطفال لهم**، ولا يتقبلون الزحزحة من موقع الوصاية عليهم! ولذلك كان أمر عقد صداقة معهم أمراً في غاية الغرابة!.

وفاجأني السؤال البريء والجميل من طفلة تنبئ عيناها عن ذكاء متقد، إذ قالت مستأذنة: **هل نقرر نحن عقد الصداقة، أم أنها تنشأ بعفوية؟!**.

السؤال خلط أوراقي جميعاً.. وذكرني بأننا مهما توهمنا بأننا ننطلق انطلاقة جديدة، فإن ثمة علائق تشوب انطلاقتنا.. وهكذا بدأ الدرس الأول.. درس كنتُ أنا فيه التلميذ.. وكانت الطفلة معلمي!.

أثنيت على الطفلة وشكرت لها ملاحظتها القيمة والصحيحة، وتحولنا من مفهوم الصداقة إلى مفهوم المعرفة.. **وكان إقراري بأنني أخطأت مدهشاً لهم.. إذ يفترض ـ حسب وجهة النظر المألوفة ـ ألا يظهر المعلم إلا مصيباً في كل ما يقوله أو يسلكه.. حتى لو اضطر للتحايل والمماطلة، أو لو أخذته العزة بالإثم.. بل إن هذا ما وجدته في أحد الكتب التي توجه المعلمين إلى طرائق التدريس!**.

إذن قبل أن نتصادق.. لنتعارف.. وإذا كانت الصداقة ممكنة بيننا، فإنها ستسود العلاقة بيننا!.

سيماء الدهشة المتتابعة في ملامح التلاميذ جعلتني أحس تماماً بمقدار القمع والتعنت الذي تعرضوا له فيما سبق.. امتزجت دهشتهم بالارتياح شيئاً فشيئاً.. وبدأنا مرحلة الثقة بالاكتشاف.. **أن يكتشف كلّ منا الآخر!**.

وبمساعدتهم بدأنا نؤسس أرضية للمعرفة.. ولم يكن هناك إلا خيار وحيد.. إذن لنلعب! ولكن كيف؟!.

طرحت عليهم فكرة النادي الذي يضم مجموعة من الأصدقاء والمعارف،

ويديرون أمورهم سوية.. فكان تحويل قاعة الصف من قاعة للجدية المفتعلة، والصرامة التربوية، إلى نادٍ يضم عدداً من الأشخاص الباحثين عن الممتع المفيد، سواء في تزجية الوقت، أو تخطيطه.. وكان هذا التحويل بوابة التجربة الحقيقية!.

أوحت كلمة مجموعة لأحد التلاميذ بكلمة دارجة في ألعاب الأطفال وهي كلمة (عصابة).. **وكانت الكلمة مشحونة بدلالات سلبية.. فوافقت عليها مع إخراجها من دلالاتها السلبية.. بأن نكون عصابة خير وليس عصابة شر.**

طال الحديث وتشعب.. وأستطيع القول أن نصف المهمة أنجز في الحصة الأولى.. لا لبراعة مني.. إنما لأمر آخر اقتنعت وآمنت به من حينها.. وهو: القدرة الهائلة للأطفال!.

ليكن.. سنكون عصابة.. ولكن عصابة لفعل الخير واستثمار الوقت والنشاط في أمور مفيدة ومسلية.. والأجمل من ذلك أننا اتفقنا على اختيار زعيم للعصابة بشكل دوري.. **لا لكي يقرر وحده؛ إنما ليذكرنا بجدول أعمالنا.. وألعابنا!.**

كنت مصمماً على إخراج الكرسي والطاولة (المخصصين للمعلم) من قاعة الصف.. ولكني تركتهما جانباً لئلا أثير الذهنية التربوية المكتبية.. التي تجد أن هذا الشكل من الترتيب الأثاثي مقدس تماماً كقداسة السلطة التعليمية وطرائقها القمعية والاستبدادية.

سرت الأحاديث بين تلاميذ المدرسة.. وظهرت بوادر الحسد والاغتباط عند تلاميذ الصفوف الأخرى.. ووصلت الأخبار إلى أسماع المعلمين والمعلمات والمدير.. بل وصل الأمر إلى حدٍّ مطالبة بعض التلاميذ معلميهم ببعض التغيير.. فتفاقمت النمائم والأحاديث الجانبية.. وظهرت ملامح القلق والتوتر.. **وأصبح حضوري يمثل خطورة.. لأنه يعيد ترتيب العلاقة بين المعلم والتلميذ.. هذا الأمر** الذي يمارس من قبل الجميع برتابة روتينية مملة.. تعرضت لبعض التلميحات في البداية.. ثم كشفت الأسئلة أقنعتها لتصبح أكثر وضوحاً من حيث كونها اعتراضات

حادة على النهج الذي انتهجته.. **وحذرني البعض من أن تهاوني مع التلاميذ سيؤدي إلى هواني عليهم.. وسيقلب الأمر رأساً على عقب، وسينشر الفوضى في مدرسة معروفة بالانضباط الصارم!**.

كانت فكرة الانضباط تصطدم بفكرة الطفولة في ذهني، وكنت مؤمناً بأن المدرسة يجب أن تخرج عن **مفهوم الثكنة العسكرية**، إلى مفهومها الحقيقي؛ مفهوم الاكتشاف الممتع وتنمية الطاقات والقدرات والحواس والمعارف والمعلومات... إلخ؛ مفهوم التأسيس ليوم الغد ليكون أكثر بهاء وجمالاً وسعادة وحضارة.

وكانت فكرتا الانضباط والطفولة متناقضتين.. ولكن الأطفال علموني أن الطفولة أكثر انضباطاً من عالم الكبار.. انضباطٌ مرتبط بالصدق.. مرهون بالحاجة.. متواشج مع الضرورة والألفة بآن واحد..

يحاول الكبار ـ باسم الانضباط ـ **أسر الطفل.. وسجنه في تصورات حازمة، وإذا قارب أمراً خاصّاً بالكبار ذكّروه بأنه لا يزال صغيراً.. وإذا مارس طفولته زجروه طالبين منه أن يكون كبيراً!**.

غرقت في علاقة جميلة متألقة ممتعة مفيدة.. وانتقلت العلاقة من الشكل المدرسي إلى الشكل الاجتماعي.. ونسيت قاعة اجتماع المعلمين أثناء الفرص الفاصلة بين حصة درسية وأخرى، تحولت قاعة الصف إلى نادٍ مصغَّر يمارس الجميع فيه حريته. بمسؤولية تفوق مسؤولية الكبار.

وبدأت أكتشف مع التلاميذ أسس العلاقة الصحيحة بين المعلم وتلاميذه؛ تعلمت معهم أنه **ليس من الضروري أن نكون الأفضل والأكثر تميزاً أو تألقاً، إنما أن نقدم أفضل ما عندنا**.. وغاب مقياس التلميذ المتفوق على بقية التلاميذ.. ليظهر مفهوم التلميذ المتفوق على نفسه. واقترن التقدير بالتفوق على النفس مما جعلهم جميعاً يتقدمون.. ومن كان بالأمس متأخّراً بذل جهداً مضاعفاً لمواكبة زملائه.. **فاستحق تقديرهم**.

تعلمت معهم أن **كلاً منا لديه ما يقدمه للآخرين.. ولدى الآخرين ما يقدمونه له**.. فتحولت الدروس الباهتة الجافة إلى ساحات للبحث والحوار، ومنح المعرفة بنهم وشغف.. لم يعد المعلم مجرد مصادر معلومات ومعارف يقدمها للأطفال فيستقبلونها بانفعال.. إنما أصبح المعلم عندهم صديقاً يتفاعل معهم ويعاونهم ويساعدهم ويتقبل مساعدتهم له.

لم يعد هناك دروس مهملة.. أو دروس هامة ودروس غير هامة.. فحصص الرياضة والرسم والأشغال والموسيقى، تحولت إلى ورشات عمل ممتع، ومناسبات لاكتساب المعارف والمهارات، والارتقاء نفسياً وبدنياً وحركياً، وتطوير الحواس الخمس تطويراً صحيحاً، وتنمية الذائقة الأدبية والجمالية والحسية بشكل سليم، وفتح آفاق الإبداع والابتكار أمام الجميع؛ **فانطلقت المواهب في زخم مدهش**.

طغى حب المدرسة على حب المنزل واللهو في الشارع.. وأصبح لدى كل تلميذ ما يفاخر بإنجازه.. أصبح لكل منهم حضوره المحسوس وآثاره الواضحة وشخصيته الخاصة والمميزة.. تبادلنا قيادة (العصابة) وأصبح هم كلّ منا أن يخطط بأفضل شكل ممكن، وأن يترك أثراً طيباً يبقى إلى أمد أطول.. كانت السعادة تنضح من العيون، وأشرقت في كل يوم شمس جديدة.

سرّ مدير المدرسة بما وجده من نشاط فاعل ومسؤولية وانضباط، ولكنه كان غير قادر على استيعاب أن يكون للأطفال شخصيتهم الخاصة بهم إزاءه.. فمفهوم الطاعة العمياء يكاد يختفي عند الجميع..

خلال هذه الفترة (حوالي شهرين ونصف) قمنا بتحضير عدة نشاطات رياضية وفنية؛ مباريات ومسرحيات ومعارض.. ولكنها لم تكن كافية ومقنعة للتضحية بالسلطة المألوفة للإطار التعليمي.. انبرت الشكاوى ووصلت إلى الموجه التربوي المسؤول.. فنبه وحذّر، وطلب الاطلاع على حقيقة الأمر.. فحضر لبعض الوقت.. ولم يجد ما يقوله.. لأنه حقّاً لا يوجد ما يقال.. وخاصة عند المقارنة بالوضع العام.. ومع ذلك كان يعدُّ لي مفأجاة ثقيلة العيار!.

بقرار من الموجه تم اعتمادي معلماً لملء الشواغر.. اعترضت ولم أفلح.. رضيت بالأمر، ولم أكف عما انتهجته حتى ولو لدرس واحد أجتمع فيه مع تلاميذ هذا الصف أو ذاك.. ارتفعت الشكاوى ثانية بأنني أفسد التلاميذ!! فأصبحت مجرد شخص ملازم لقاعة المعلمين دون فرصة لممارسة أي دور.. حينها لم أجد أمامي إلا أن أتفرغ لهاجسي الأساسي (الدراسة) بعد أن استحالت عودتي إلى العمل الذي بدأت.. فتركت!! ولكن إلى حين.. عدت مرة أخرى ثم تركت.. ثم عدت ولكن بطريقة أخرى!.

واليوم إذ ألتقي مصادفة بأحد تلاميذ ذلك الصف.. وأجد التقدير في ناظريه.. أدرك أنني لم أفعل شيئاً سوى أنني أطلقت العنان له ليمارس طفولته.. ويمنح المعرفة بنفسه.. ويربي نفسه بنفسه. وأدرك أنني لم أفعل شيئاً سوى أنني أزحت عن طريقه ولو لفترة مؤقتة، الملامح الصارمة لمعلم يحمل العصا في يده كل لحظة.. وأدرك أنني لم أكتسب يوماً ما كسبته يومها من معرفة وخبرة وصداقات متألقة على مرّ السنين.

ذكريات تجربة لن أنساها.. وإن سلوت عنها حيناً ذكرني بها واحد ممن شاركني في خوضها.. وأقول بكل ثقة: إذا أردنا أن نفهم الحياة.. لنتأمل نواظر الأطفال وهي تعج بالآمال العِذاب، **وإذا أردنا أن نعيد تأسيس مجتمعاتنا فلنعد تأسيس علاقتنا مع الأطفال.**

* * *

٣٠

هذه رؤيتي

الدكتور محمد كامل عياد

لعل أهم حادث كان له أعمق تأثير في توجيه تفكيري هو ما تعلمته بعد اشتغالي بالتدريس؛ فقد كنت ـ ككل مدرس مخلص لعمله ـ أشعر بمنتهى السرور والاعتزاز عندما أشاهد طلابي يتقدمون في المعرفة والبحث والتفكير، وكنت في الصميم أعلق أكبر الآمال على مستقبل النابهين بين هؤلاء الطلاب، الذين لم يكن يخامرني أدنى شك في أنهم سيصبحون علماء أو مخترعين أو مصلحين، وأنهم سيعملون على نهضة الأمة العربية.

إلا أنه لم تمضِ بضع سنوات **حتى كشفت لي الحياة عن الواقع المؤلم!** ذلك أني التقيت ببعض الطلاب المتفوقين بعد مدة تخرجهم، وإذا بهم قد صاروا معلمين في قرى نائية لأنهم كانوا فقراء لا يستطيعون إتمام الدراسة الجامعية، وكان لا بد لهم من العمل لإعاشة أنفسهم وأُسرهم. وقد هالني ما كان يبدو عليهم من الخمول والبؤس، ولاحظت أن أحدهم على الأخص كان هزيلاً، شاحب اللون خلافاً لما عهدته عليه في المدرسة، فلما سألته عن السبب أجاب: «كيف لا أنتهي إلى هذه الحالة وأنا أعيش في قرية تحيط بها المستنقعات وتفتك «الملاريا» بسكانها، وليس من طبيب أو صيدلية فيها أو بالقرب منها؟!». . وقد تبين لي من الحديث مع هؤلاء

الطلاب القدماء أنهم جميعاً **لم يطالعوا أي كتاب أو مجلة منذ أن تخرجوا من دار المعلمين**. فظننت لأول وهلة أن ذلك ناشئ عن ظروفهم الخاصة. ولكنني عندما أخذت أبحث في الموضوع على نطاق أوسع وأسأل عدداً كبيراً من المتعلمين، كالمحامين والأطباء والمهندسين والموظفين، وجدت أن أكثرهم قد انقطعت كل صلة لهم بالعلم.

عندئذ أدركت أن هذا الظاهرة لا يمكن تعليلها بكسل الأفراد أو نزعتهم المادية، بل لا بد من إرجاعها إلى **تأثير البيئة الاجتماعية**. . ومنذ ذلك الوقت آمنت بأن مجرد العناية بتعليم الأفراد وتهذيب أخلاقهم لا تكفي وحدها لنهضة المجتمع وتقدمه، وإنما ينبغي في الوقت نفسه ـ وقبل كل شيء ـ **تغيير النظم والمؤسسات وإصلاح الأوضاع العامة، فإن الأفراد لا تنكشف مواهبهم ولا يستطيعون الإنتاج والإبداع إلا إذا بدؤوا بتهيئة الجو الصالح لحياة اجتماعية منسجمة، متطورة زاخرة.**

* * *

٣١

رضا الضمير مفتاح السعادة

الدكتور محمد حسين هيكل

كنت تلميذاً بالمدرسة الثانوية.. وكنت معتزّاً أشد الاعتزاز بمعلوماتي في اللغة العربية.. وألقى علينا أستاذ هذه اللغة يوماً سؤالاً أجاب عليه أحد زملائي إجابة استرحت إليها موقناً بصحتها. ولشد ما كانت دهشتي حين ذكر الأستاذ أن زميلي أخطأ، وحين صحح هذا الخطأ، عند ذلك أيقنت بأنا يجب أن **لا نبالغ في الاطمئنان إلى كل معلوماتنا، وأنه يجب علينا أن نراجع أنفسنا ما بين حين وحين،** لنستوثق من هذه المعلومات حتى لا يدفعنا الخطأ في بعضها إلى التورط من بعد في أخطاء أخرى.

وحينما كنت أدرس الحقوق، كنت قوي الذاكرة، فلا أحتاج إلى تلاوة الموضوع الذي أدرسه أكثر من مرتين لينقش في ذهني.. وإني لأناقش أحد زملائي الطلبة يوماً وأدعم حجتي بنص حفظته، إذ أشار هو إلى نصٍّ آخر لم يغب عني حين سمعته، ولكني لم أفكر من قبل في التقريب بين النصين ومقارنتهما.

ومن يومئذ أيقنت **أن الاعتماد على الذاكرة وحدها، وبخاصة في الشؤون العلمية، لا يكفي لكشف الحقيقة كاملة.. بل يجب أن يهضم الفكر ما تعيه الذاكرة** ليخلف منه مجموعة وثيقة لا تنافر بين أجزائها كيما يتسنى لإدراكنا أن يتمثلها فتصبح

جزءاً من محصولنا العقلي قائماً بذاته، وله من ثم أثره في توجيه أحكامنا توجيهاً سليماً.

فلما أتممت دراستي، ومارست شؤون الحياة.. رأيت الكثير مما يقع فيها يخالف ما تعلمته من مبادئ وقواعد وقوانين.. ورأيت كثيرين ينجحون، ويرجع سبب نجاحهم الظاهر إلى مخالفة هذه المبادئ والقواعد والقوانين.. لكني تبينت بعد سنين قليلة أن النجاح بمخالفة قواعد الخلق ومبادئ القانون، يعرض صاحبه **لمتاعب جمّة**، وقد يهدم حياته من أساسها، وأن التشبث بما نؤمن أنه الحق، والدفاع عنه دفاعاً صادقاً، وسلوك سبيلنا في الحياة على هداه.. ذلك هو الذي **يرضي ضميرنا ويبعث الطمأنينة إلى نفوسنا. ورضا الضمير وطمأنينة النفس مفتاح السعادة وعمادها المتين.**

وكان لما تعلمته من ذلك أبلغ الأثر في حياتي، فقد قضيت السنوات الثلاثين الماضية منها صحفياً، ومؤلفاً للكتب، ووزيراً، ورئيساً لمجلس الشيوخ.. وكل **وجهتي** في هذه المراكز جميعاً **أن أدافع عما أومن بأنه الحق**، وقد تعرضت بسبب هذا الدفاع لمتاعب كثيرة. قدمت من أجلها لمحكمة الجنايات في تهم صحفية، وتعرضت لغضب السلطات العليا، والسلطات الحاكمة، **ولم أكسب في الحياة المادية ما كنت أستطيع أن أكسب أضعافه لو أنني جعلت قلمي أو جعلت مجهودي في خدمة هذه السلطات**. ولم أنتصر في بعض الحملات التي أثرت غبارها إلا بعد سنوات. لكنني لم أيأس يوماً من النصر، **ولم أعنَ يوماً بالكسب المادي**، لأنني كنت مستريح الضمير لأداء ما آمنت بأنه الواجب دفاعاً عن الحق، ولأنني رأيت **الحق ينتصر آخر الأمر لا محالة، وإن طال انتظارنا قبل انتصاره.**

وكثيراً ما شعرت بأن السبب في طول الانتظار وقوعنا في خطأ من غير قصد، كما أخطأ زميلي ونحن بالمدرسة الثانوية حين ألقى الأستاذ سؤاله في اللغة العربية، أو أن السبب يرجع إلى إغفالنا جانباً من الحقيقة كما حدث لي أثناء مناقشة صاحبي وأنا أدرس الحقوق.. على أن الكبرياء لم تدفعني يوماً إلى التورط في الخطأ، بل كنت

أعود دائماً إلى الحق لكيلا يزيد الشطط في طول انتظاري، مع اقتناعي الثابت **بأن الصبر مع صدق الإرادة وحسن القصد كفيل بدرك الغاية التي أقصد إليها**.

ونحن مدركون هذه الغاية ما كان هدفنا هو الحق، وهو الخير العام.. ولا سبيل للخير العام إلا من طريق الحق.. والحق والخير العام يقتضياننا **إنكار الذات مع الثقة بالنفس، والثقة المطلقة في نفس الوقت بالله جل شأنه** .. فالله هو الحق، والحق سبيلنا إليه.. ورضا الضمير وسيلتنا إلى رضا الله.. والضمير لا يرضى إلا عن الخير، وعن الحق.

وصدق الله العظيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

* * *

٣٢

لمحة يفهمها أرباب الحس السليم

الأستاذة جوان سي. جونس

أذكر تجربة علمني فيها أستاذنا في الجامعة كيف نعيش ونتعلم من خلال اتباع ضميرنا: «خلال الشهر الثاني من دراستي في مدرسة التمريض أعطانا أستاذنا مجموعة من الأسئلة، كنت طالبة مجتهدة وقد أجبتُ على الأسئلة بسهولة إلى أن وصلتُ إلى السؤال الأخير: ما الاسم الأوّل للسيدة التي تنظف المدرسة؟ كنت متأكدة أن الأمر مجرَّدُ دعابة. . لقد شاهدت تلك المرأة عدة مرات، كانت طويلةً سوداء الشعر في الخمسين من عمرها، ولكن كيف لي أن أعرف اسمها؟ سلَّمتُ ورقتي وتركت السؤال الأخير بلا إجابة.

قبل انتهاء الدرس سأل أحد الطلاب عمَّا إذا كانت علامة السؤال الأخير ستُحسبُ مع باقي العلامات؟ فأجاب الأستاذ: بالتأكيد، سوف تقابلون في مهنتكم الكثير من الأشخاص، **وكلُّهم مهمُّون ويستحقون انتباهكم ورعايتكم حتى لو أن كُلَّ ما تقدّمونه لهم هو تحيةٌ وابتسامة!** لم أنسَ ذلك الدرس أبداً. . **وعرفتُ** أيضاً أنَّ اسمها كان **دوروثي**».

* * *

٣٣

خلاصات تجاربهم في نقاط

ومن يُطع الهوى يُعرف هواه وقد ينبيك بالأمر الخبير

«داوود بن سَلم»

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

القسم السادس

في إطار الخبرة الدعوية

٣٤

تجاربي في الدعوة

الأستاذ محمد الغزالي

تخرجت من الأزهر سنة (١٣٦٠ هجرية) الموافق سنة (١٩٤١م)، ومنذ ذلك الوقت وأنا أعمل في خدمة الإسلام دعوة وتدريساً.

وفي رأيي أن الدعاة إلى الله، في هذا العصر غيرهم في العصور الماضية؛ فقديماً كانوا يدركون حظّاً من النجاح بمعرفة محدودة وتقوى ظاهرة.

أما في هذا العصر فإن أعداء الإسلام قد تضاعف نشاطهم ونمت أحقادهم وكثرت العقبات التي وضعوها في طريق الدعاة، واستطاعوا استغلال التفوق الحضاري لوقف الزحف الإسلامي في أقطار كثيرة، بل ولعلهم استغلوا ثراءهم وقدرتهم في فتنة طوائف من المسلمين في إفريقية وآسية وأوروبة. ولذلك لا يكفي أن تعمل أجهزة الدعوة الإسلامية، بل لا بدَّ وأن تكون من ورائها خدمات شتى اجتماعية وصحية وتعليمية وثقافية... إلخ.

والدعوة إلى الله لا يصلح لها بداهة أي شخص، **إن الداعية المسلم في عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية**، بمعنى أن يكون عارفاً للكتاب والسُّنَّة والفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يجب

أن يكون ملمّاً بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة والثقافات الإنسانية المعاصرة التي تتصل بشتى المذاهب والفلسفات.

ويجب على من يدعو إلى الله أن يتجرَّد لرسالته التي يؤديها فتكون شغله الشاغل، وعليه أن يبادل الناس بقلب مفتوح فلا يكون أنانياً ولا حاقداً، ولا تحركه النزوات العابرة، ولا ينحصر داخل تفكيره الخاص فهو يخاطب الآخرين، وينبغي أن يلتمس الأعذار للمخطئين وألا يتربص بهم.. بل يأخذ بأيديهم إذا تعثَّروا.

ويحتاج الداعية المسلم في هذا العصر إلى **بصر بأساليب أعداء الإسلام** على اختلاف منازعهم؛ سواء كانوا ملحدين ينكرون الألوهية أو كتابيين ينكرون الإسلام.

وقد لاحظت أن هناك أصنافاً من الناس في ميدان الدعوة تسيء إلى الإسلام أشد الإساءة؛ منهم الذي يشتغل بالتحريم المستمر؛ فلا تسمع منه إلا أن الدين يرفض كذا وكذا دون أن يكلف نفسه أي عناء **لتقديم البديل** الذي يحتاج إليه الناس.. وكأن مهمته اعتراض السائرين في الطريق ليقفوا مكانهم دون أن يوجههم إلى طريق آخر أرشد وأصوب.

وهناك دعاة يعيشون في **الماضي البعيد**، وكأن الإسلام دين تاريخي وليس حاضراً ومستقبلاً، والغريب أنك قد تراه يتحامل على المعتزلة والجهمية مثلاً وهو محق في ذلك، ولكنه ينسى أن الخصومات التي تواجه الإسلام قد تغيرت وحملت حقائق وعناوين أخرى. وهناك دعاة آخرون لا يفرقون بين الشكل والموضوع، أو بين الأصل والفرع، أو بين الجزء والكل، بأي شكل من الأشكال، **ويبددون قواهم** كلها في محاربة هذا الشكل، أما الموضوع فهم لا يدرون ماذا يصنعون إزاءه؟!.. ولهؤلاء عقلية لا تتماسك فيها صور الأشياء بنسب مضبوطة، ولذلك قد يهجمون شرقاً على عدو موهوم ويتركون غرباً عدوّاً ظاهراً، بل ربما حاربوا في غير عدو... وهؤلاء وأولئك عبء على الدعوة الإسلامية يجب إصلاحهم كما يجب إصلاح الذين يدخلون ميدان الدعوة بنية العمل لأنفسهم لا لمبادئهم؛ **فإن العمل الذي يستهدف القيم الإسلامية غير العمل الذي يدور حول المآرب الشخصية.**

تبيَّن لي بعد أربعين سنة من العمل في الدعوة الإسلامية أن أخطر ما يواجه العمل الإسلامي هو **التدين الفاسد**؛ أي استناد النفس إلى قوة غبية وهي تعمل للخرافات والأوهام، أو هي تعمل للأغراض والمآرب! الدين مثلاً يقظة عقلية وهؤلاء يعانون تنويماً عقلياً متصلاً، والدين قلب سليم وهؤلاء استولت على قلوبهم علل رديئة.

والأمر في كشف التدين الفاسد يحتاج إلى تفاصيل للتعامل مع الآفات النفسية والعقلية التي تسبب هذا البلاء ، وقد خصص أبو حامد الغزالي جزءاً ضخماً من كتابه (الإحياء) في علاج هذه الآفات والتحذير منها، كما وضع ابن الجوزي كتاب (تلبيس إبليس) للكشف عن صور التدين الفاسد وإبعاد العامة والخاصة عنه.

وقد ألفت بعض كتبي وأنا مستغرق في محاربة هذا الجانب من التدين المعلول سواء كان رسمياً، أو شعبياً؛ مثل: كتاب (تأملات في الدين والحياة)، وكتاب (ليس من الإسلام)، وكتاب (ركائز الإيمان بين العقل والقلب)، وأخيراً كتابي(الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر).

والحقيقة أن التدين الفاسد سر انحراف كثير من العقلاء؛ لأنهم ينظرون إلى الدين من خلال مسالك بعض رجاله وآثارهم في الحياة العامة، والواقع أن بعض المتدينين كانوا في القديم والحديث بلاء على الدين.

بدأتُ الكتابة منذ الشباب الباكر، وكانت هواية عندي ورغبة أجد راحة في تحقيقها، **ولم أتوجه إلى الكتابة الدينية إلا بعد أن اشتغلت بالدعوة الإسلامية**. وقد سلكت في الكتابة الدينية منهجاً يجمع بين العلم والأدب مع عرض الثقافة الإسلامية عرضاً ممزوجاً بقضايا العصر الحاضر، ويمكن القول أن هناك عدة محاور أساسية دارت حولها كتبي الخمسة والثلاثون التي وضعتها في الأربعين عاماً الماضية:

«الإيمان والعقل والقلب» و«الإسلام والطاقات المعطلة».

وأحبُّ أوقات الكتابة إليّ **بعد صلاة الفجر**. . عند هذا الوقت أشعر باجتماع فكري ويقظة أعصابي وقدرتي على إفراغ ما في نفسي فوق الصفحات، ويغلب أن

تكون الكتابة الأولى هي الأخيرة، وقلما أمحو منها أو أزيد عليها إلا القليل، بل قلما أعود إلى قراءة كتاب أصدرته إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة في ذلك، كمناقشة له أو حوار حوله.

وأتمنى أن أكتب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم؛ **فكل سورة من القرآن وحدة متماسكة تشدها خيوط خفية تجعل أولها تمهيداً لآخرها، وآخرها تصديقاً لأولها، وتدور السورة كلها على محور ثابت**، وأتمنى وضع كتاب جامع في ذلك[١].

والمدرسة التي أعتبر نفسي رائداً فيها أو ممهداً لها **تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي. . كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ، ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسُّنَّة.**

إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذي ينبغي تقريره لا يتم إلا على رحابة الأفق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة والحديثة على السواء، وربما كان أسلافنا القدامى قد رزقوا من سلامة الفطرة وحدَّة الذكاء ما يجعلهم قادرين على حسن الفهم والحكم، لكننا في هذا العصر لا نصل إلى مستواهم إلا بعد دراسات مضاعفة، كما يستعين صاحب النظر القصير بالمناظير المقربة حتى يعرف ما يقرأ أو حتى يدرك من بعيد ما لا يستطيع رؤيته بالعين المجردة. . .

* * *

(١) وقد وفق الله الشيخ الغزالي رحمه الله لإتمام ما تمناه، وصدر له كتاب تحت عنوان **«نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم»**.

٣٥

موقف علمني الكثير

الأستاذ محمد أحمد الراشد

أذكر أن أخي وصاحب دربي الدكتور عادل الشويخ «رحمه الله» استبد به الزهد في الكلام وإلقاء الدروس قبل سنوات، واشتكى من سلبية بعض السامعين وعدم مجاراتهم له من خلال **الأسئلة الواعية التي تحرك المدرس عادة لمزيد من العطاء**، حتى ذكر لي بأنه ينوي التوقف عن الكتابة والكلام احتجاجاً، فوجد عندي من هذا المعنى ما هو أكثر، واستولى علينا التبرم، وتعاهدنا على السكوت، **فساق الله إلينا شاباً يخرجنا من الخطأ**، إذ كنت أجلس مع عادل في مطار إستانبول ننتظر الطائرة قافلين من دورة لم نصادف فيها من أسئلة الدعاة ما يشجع، وإذ نحن **نتبارى في التلفظ بمرادفات اليأس**؛ إذ بشاب يقبل علينا ثانياً ركبتيه، يسأل:

قال لي: أأنت محمد أحمد الراشد؟.

قلت: نعم، هل التقينا سابقاً؟.

قال: لا، عرفتك من خلال رؤية ڤيديو كلمتك في مؤتمر هيوستن بأمريكة.

قلت: ومن تكون؟.

قال: اسمي خالد الموساوي، وأنا جزائري من أهل واحة وادي سوف على بُعد

ألف كيلومتر عن العاصمة جنوباً على مشارف الصحراء الإفريقية الكبرى قرب أقصى الحدود التونسية، ونحن هنا نقرأ لك ونسمع أشرطتك ونرى بعض دروسك من خلال الڤيديو، وأنا ذاهب إلى الجهاد بأفغانستان.

فرحبنا به، وأبدى سروره لهذا اللقاء على غير موعد، وسألني عن أمور، وسألته، ثم تنهَّد مستدركاً.

قال: لكن ما زال نصف حلمي لم يتحقق، لم أتعرف بعد إلى عادل.

قلت: فكيف بك إذا أنزلتك معي في دبي لأعرفك به؟!..

قال: إذاً يكون يوم عيدي، فنحن نسمع دروسه ولم نرَ صورته عبر الڤيديو.

وهنا تدخل عادل رحمه الله، فسأله عما سمعه من أشرطة دروسه دون أن يعرفه بنفسه، فعدّد له عناوين دروس عديدة.

فسأله عادل ممتحناً: الدرس الفلاني ماذا يقول فيه؟.

قال: كذا وكذا، وأتى بمختصر معانيه على وجهها.

ثم امتحنه مراراً، يسأله عن دروس أخرى، والفتى يأتي بالمعاني على وجهها بإتقان أدهشنا. **فقلت له بعد أن ازددت فراسة في صدق توجهه**: إذن فهذا عادل أمامك، هو الذي يمتحنك.

فطار الفتى من الفرح وأذهلته المفاجأة!.

قال: كلنا في وداي سوف على هذه الشاكلة، نقرأ ونحفظ ونُعيد السماع.

ثم أخرج كتاب (الموافقات) للشاطبي من خُرجه، وقال لعادل: سمعتك في شريط تثني على الكتاب وتوجب على الدعاة أن يطالعوه، فاقتنيته ليكون صاحبي في الجهاد.

* **هذه الحادثة هزّت عادلاً وجعلته يوقن بوجود مبلّغين أوعى من سامعين**، ومال إلى التوبة من اليأس ومن الزهد بالكلام، وطفق يقول بعدها: نتكلم لأهل الواحات والغابات إن خذلنا أهل الحواضر، فكان من ثمَّ إكثاره في السنوات الأخيرة، رحمه الله.

* * *

٣٦

من جذورنا تتفتح الأكمام

الأستاذ أحمد معاذ الخطيب الحسني

الحمد لله الهادي إلى الرشاد، والصلاة والسلام على صفوة العباد سيدنا محمد، وآله الأطهار وصحبه الأبرار، وبعد:

فلم أكن قد بلغت الثالثة من عمري حين قام انقلاب عسكري، وتم حظر التجول، فخرجت والدتي بارك الله فيها لإحضار حليب لأختي الرضيعة، إذ إن وضع والدي الشخصي والعام كان حرجاً! واصطحبتني الوالدة معها، وفي الطريق أوقفتنا دورية عسكرية، وتركوا أمي بعد عدة أسئلة، ولكني خفت خوفاً شديداً، ولما عدنا أخبرت أمي الوالد رحمه الله بما حصل، فقال لي (وأنا ابن الثالثة): هل توضأت قبل الذهاب، فأجبته بالنفي، فقال لي: **لو كنت متوضئاً لما خفت من أحد.**

كان الدرب الذي **خطه والدي** في نفسي أعمق الدروب، وفي نفسي ذكريات محفورة عن الأيام التي كان فيها خطيب جامع بني أمية الكبير، ثم عميده قبل أن يقصيه الظالمون، ومن عنده بدأت السير.

بعدما أنهيت سلاسل المرحوم عبد الحميد جودة السحار العذبة للأطفال، والتي استعرضت قصص الأنبياء ثم السيرة النبوية الشريفة، ثم التاريخ الإسلامي اللاحق (وكنت في العاشرة تقريباً) طلبت من والدي كتباً خاصة لأطالع بها، فأعطاني

كتاب أديب القرآن العظيم مصطفى الرافعي: (من وحي القلم)! فلم أفقه منه شيئاً، **فأعطاني كتب علاَّمة الشام علي الطنطاوي فسحرتني، وولدت في نفسي من المعاني ما لا تمحوه الأيام**، وكنت أكبر معها وبها، وتكبر في نفسي تلك المعاني الهائلة التي ضمها الطنطاوي **بحب جارف في حنايا كتبه**. تعلمت على يدي والدي رحمه الله أن **الإسلام أوسع راية من كل أحد يحاول أن يطويه تحت جناحه، وغُرس في نفسي أن الرجال الكبار هم القدوة التي ينبغي أن تتبعها الأمة**، وأدركت أن في الحياة رجالاً خلقوا **للمعالي**، وآخرون **لقصعة وثريد، بل لنفاق وقعود ذليل، وأن الحق ينبغي أن يذكر لأنه حق، والباطل أن يفضح لأنه باطل، وأن المسلم لا يتاجر بإيمانه، ولا ينقلب به إذا تضعضعت النفوس لصاحب نفوذ وسلطان**.

كانت المواقف التي أراها أبلغ بما لا يقاس من أي كلام، لذا فإن معرفة النماذج المزورة على الطريق الحق لم يكن شيئاً صعباً.

لاحظت يوماً (وكنت في السادسة) أن والدي يبكي، وسألتُ والدتي عن السبب فقالت محاولة التخلص من الإلحاح: بأن والدي قد أضاع محفظته التي كانت بها كل نقوده! (**وهو أمر حصل بالفعل**)، وقلت بسذاجة الطفل: وهل ضاعت المحفظة التي فيها القطع المعدنية الصغيرة؟ لماذا لا يأخذ منها؟ وبعد ذلك بسنوات علمت السبب الحقيقي، فلقد **عزل والدي من الخطابة والعمادة لأنه لم يرضَ أن يخشع لوزير أو أمير**، وضاقت الأمور بين يديه، ولم يدق واحد من الناس بابه (وهو الرجل الذي لا يوجد دمشقي أصيل لا يعرفه) ليسأله إن كان يلزمه أي عون من إخوانه، واتصل الرجل الذي بقيت عمامته نظيفة حتى آخر لحظة من حياته بصاحب مكتبه، ليبيعه كتابَي: في ظلال القرآن للسيد، والأغاني للأصفهاني، وبكى الرجل وهو يودع كتبه، ليطعم زغب القطا في بيته! **ولكنه أطعمهم وله الحمد من عزة النفس ما لا يناله ولله الحمد الملوك والكبراء**، حتى إن بعض النقود كانت تجدها الوالدة بين الأغراض فتطلب من صاحبها أن يأخذها، فتبقى على الرف شهوراً وربما سنوات، ولا تمتد إليها يد، فتذهب في نفقة عامة أو صدقة.

من أهم الأمور في التربية أن تضع السالك في جو كل أصحابه قمم سامقة في الخير، وكانت أسماء الرجال المعاصرين الكبار في الأمة متداولة دائماً، وأخبارهم وسيرهم مقيمة في أحاديث والدي، بداية من الشيخ سعيد الحلبي إلى المحدث أبي النصر الخطيب (وهو عم جدي)، إلى الشيخ طاهر الجزائري، وصولاً إلى الإمام جمال الدين القاسمي، (والذي كان له في قلب الوالد حب واستفادة خاصة، وبقيت كتبه آثر الكتب الذي يدرسها الوالد، من محاسن التأويل إلى موعظة المؤمنين، فقواعد التحديث. . .) ووقوفاً عند محب الدين الخطيب (ابن عم الجد) فالبنا رحمهم الله جميعاً، وهناك قمم أخرى كان منهم مفتي الحنابلة الشيخ حسن الشطي، والشيخ جميل الشطي، والشيخ عبد القادر العاني، وقاضي الشام الإسطواني، والعلاّمة المؤرخ محمد أحمد دهمان، ونقيب السادة الأشراف محمد سعيد الحمزاوي، والشيخ عبد الحكيم المنير. . وآخرون رحمهم الله جميعاً. . . لقد كانوا عصبة خير في محيط يحفه الضعف، وثبتوا عندما غرق البعض في المناصب والترضيات، **وعاش أكثرهم هم الأمة دون أن يدري به أحد**، ومضوا فإذا بالسنين تطوي ذكرهم عند عامة الناس، **فهم لم يؤسسوا لجماعة تسبح بحمدهم من بعدهم، ولم يقصدوا تربية أشخاص معينين ينتمون إليهم، بل كانوا قادة يعملون بصمت لا يرجون من الناس جزاء ولا شكوراً**. حضرت مع والدي حفلاً بمناسبة المولد النبوي الشريف، ولما دخل الوالد مع بعض كبار العلماء هبَّ كل من في المسجد وقوفاً، وهم ينشدون: طلع البدر علينا. . وذلك لدخول العلماء، ولما قُدِّمَ الوالد للكلام قال ما خلاصته: إن هذا النشيد خص في وجدان الأمة بالنبي الهادي صلى الله عليه وآله وسلم، وكل انحراف به لاستقبال أي أحد مهما كان فإنما هو قلة أدب في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام، فلم يكن ذلك الرجل **يبحث عن شهرة أو مكانة يحققها بالمداهنة الرخيصة التي يقبلها البعض مع العوام!**.

وفي يوم ما كانت الظروف شديدة العسر، تم الضغط الشديد على صاحب العمامة البيضاء ليثني على رجل صاحب سطوة هائلة، فذهب الشيخ ورفع يديه يدعو

الله دون أن يذكر ذلك الرجل لا تلميحاً ولا تصريحاً. . **يعلّم الأمة أن مدرسة العز بن عبد السلام لها في الشام رسوخ وتمكين.**

ومن باب مدرسة الإمام القاسمي الذي يلجه الوالد، أحببت كل أئمة الأمة، **وانفتحت من كلامهم بعدها بوابات خير بلا انتهاء. .**

فمن الإمام الجيلاني، إلى الجنيد سيد الطائفة، ومن الغزالي حجة الإسلام، إلى الشوكاني بقية المجتهدين العظام. . تموج بحار الخير والفقه والسلوك المستقيم. . كانت الكتب أنيساً وصاحباً في أجواء لم يكن الانغماس فيها محموداً، **وفضلاً عن الكتب الشرعية الواسعة التي ضمتها مكتبة البيت، فقد كان يندر اختصاص ما ديني أو دنيوي لا تتوفر بعض الكتب التي تتحدث عنه، وفي تلك المكتبة قرأت لڤيكتور هيجو وإسكندر دوماس وإميل زولا. . وأكثر روايات الأدب الغربي؛ ففهمت كثيراً من طرق تفكيرهم. .**

من المفترقات الأساسية في حياتي **عملي في هندسة النفط** قريباً من ست سنوات **فتحت عيوني فيها على عالم الأسباب الذي برع فيه غيرنا**، وأضعناه منتشين بعاطفة ظاهرة، وعمل ضعيف، **وتعلمت في ذلك العالم أن الفطرة موجودة في الأعماق مهما ظننا أنها غائرة، وأن الناس بحاجة إلى منهج صحيح يقود الحياة! وقد علمني ذلك العالم وأفادني من الخبرات في عالم الدعوة ما لم أسمعه من عالم، ولا يحيط به كتاب.**

وأخيراً فمن أهم محطات حياتي الخطابة والتدريس، ولها قصة واسعة بان لي من خلالها ما في الأمة من **خير وعزيمة**، وما في الجبناء من هبوط، وكم بين أصحاب العمائم الملوثة والظالمين من نسب وقربى.

ظلل حياتي أم عطوف، وزوجة صالحة، وإخوة أحبة، وتلاميذ بررة، **وتوج ذلك براعم للإسلام ثلاثة: أمان وعبد الرحمن وأسماء؛ أرجو الله أن يكملوا في درب إسلامنا العظيم ما قصرت عنه هممنا في دروب الحق والدين القويم.**

* * *

٣٧

الداء العضال في حياتنا الإسلامية اليوم

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

إنَّ داءنا المستحكم العضال: أننا مسلمون **بالفكر والعقل، لا بالحبّ والقلب**، أي أننا **نمارس إسلاماً عقلانياً مجرداً بعيداً عن جواذب القلب ومؤثّراته**.

ومثل هذا النوع من الحياة الإسلامية **قد يُثمر ثروة فكرية عظيمة، أو مكتبة إسلامية واسعة.. ولكنه لن يُثمر أبداً السعادة الإسلامية المنشودة**.

إنَّ أقلَّ تجسيد لهذه الحقيقة التي أقولها، أنّك قد تجتمع مثلاً بجماعة من المسلمين لهم مركز الصدارة في الفكر والقيادة الإسلامية في المكان الذي يوجدون فيه، **ويبدأ الحديث بينهم عن الإسلام وكيفية الدعوة إليه، والنهوض به، وواجب المسلمين في هذا العصر**؛ ويغوصون في هذا الحديث في **نشاط ولذة وحماس**، ويتعالى صوت مؤذن على مقربة منهم يؤذن للصلاة، والحديث لا يزال موصولاً! وينتهي صوت الأذان، ويذوب في ضوضاء الحديث وصخبه!.

ويمتدّ وقت طويل بعد ذلك، والقوم **مشغولون** عن الاستجابة للأذان، والقيام إلى الصلاة، **بالحديث عن الإسلام والاهتمام بشأنه**.. ويوشك وقت الصلاة أن يخرج والقوم لا يزالون في شغلهم وحديثهم. وأخيراً يقترح أحدهم استراحة دقائق ليقوموا إلى الصلاة.. وتبدأ صلاة سريعة، قد لا تزيد على ركعات الفرض وحده، وتتأمل في

مظهر صلاتهم، فلا تشك أن كل واحدٍ منهم منصرف بتفكيره إلى الحديث الذي قاموا لتوهم عنه!

وما هو إلا أن يسلّموا يمنةً ويسرة حتى يلتفتَ، بعضهم إلى بعض مرةً أُخرى وقد تذكّر هذا الصلاة ما كان نسيه أثناء الحديث، وقام في ذهن الآخر إشكال تصوره عند قراءة الفاتحة.. ويعود الحديث بينهم عن الإسلام ومشكلاته، وما يتعلق به، وقد نسوا أن من وراء الصلاة التي فرغوا منها تسبيحاً وذكراً ودعاءً، وأنَّ لها تتمة من الرواتب والنوافل، وأن كل هذا الذي يخوضون فيه من الحديث إنما **هو وسيلة إلى هذه الغاية العظيمة!**.

وهكذا دواليك.. وقس على هذه الصورة وغيرها من أشباهها.

غير أن الذي هو أهم من هذه الصورة نفسها، أن الكثيرين من المسلمين اليوم **يدافعون عنها، ويتفلسفون في الدعوة إليها، ويقتنعون ويُقنعون أن الإسلام ليس إلا هذا المظهر الحركي الذي ينطبع شكله في البحوث الفكرية، والمناقشات النظرية، والتنظيمات الشكلية، ويظلون يقللون من أهمية العبادة، والتبتل والأذكار، ويوهمون أنها بضاعة العامة والجهّال الذي لا شغل لديهم حيث يملؤون بها فراغ وقتهم.**

وإني لأذكر حفلاً حاشداً في إحدى بلادنا العربية، كنتُ أحد الحاضرين فيه، وأذكر أن أحد المفكرين من العلماء الفضلاء خطب في ذلك الحفل، فكان مما قال: إن مشكلة كثير من المسلمين اليوم ما يحسبونه من أن الإسلام هو أن يُكثر الإنسان من الصلاة.. أو أن يُكثر من التعبد.. مع أنَّ الإسلام هو العمل والبناء.

ولقد أخذتُ ألتفتُ إذ ذاك عن يميني ويساري أنظر في وجوه الحاضرين، ثمَّ رحت **أتأمل** في نفسي طبيعة أهل تلك المدينة كلها، فما هدتني عيناي ولا أرشدني خاطري إلى أن ثمة أقواماً انقطعوا عن الحياة الدنيا في كهوف قاصية للعبادة والصلاة.. **وتأملتُ**، فوجدتُ أنَّ أعظم متعبدٍ فيهم هو ذاك الذي يحافظ على فرضه يؤديه جماعة في وقته، وقد يُتبعه بركعاتٍ خفيفةٍ من نوافله المتمّمة.. فما وجه الحاجة إلى هذا الكلام، وما الضرورة الداعية إلى التكريه بالصلاة أو الدعوة إلى

التخفيف من العبادات، وما في الحاضرين كلهم والبلدة بأسرها إلا مقصر عن الحد الأدنى في ذلك؟.

والعجيب أن ندعو بعد ذلك إلى العمل.. والبناء.. والتضحية...

فما الذي ينهض بالمسلمين إلى القيام بذلك كله، وهم مقيدون بأثقالٍ وأغلالٍ من الشهوات والأهواء والمطامع الدنيوية المختلفة؟! ما الذي يحملني على استدبار شهواتي وأهوائي، وإنَّ قلبي ليخفق بحبها والتعلق بها؟.

إن الأمر يحتاج ولا ريب إلى مساعد، ومعين، فأين هو المساعد والمعين؟ وما هو؟.

لقد أجاب البيان الإلٰهي على هذا، ووضع بين أيدينا المساعد والمعين، وذلك في قوله جلَّ جلاله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وطالما وضع الباري جلَّ جلاله هذا الدواء المساعد بين يدي حبيبه المصطفى ﷺ، **كلما حزبه أمر، أو أطبقت عليه شدَّة، أو استيقظت في نفسه بعض المشاعر البشرية**، تأمل مثلاً قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ * وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩-٤٠]...

وأمعن النظر في هذه الآيات الأخرى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٤-٢٦].

ومعاذ الله أن يكون أسلافنا من المسلمين الذي شادوا صرح هذا الدين ببطولاتهم وجهادهم وتضحياتهم، قد نجحوا في شيء من ذلك إلا بعد أن أزاحوا عن أنفسهم **أثقال الشهوات، وأغلال الأهواء، بسلاح من العبادة والتبتل**، والوقوف على الأقدام بين يدي ربهم الساعات الطوال، في جنح الليل، يسكبون دمعاً ساخناً، ويناجونه في دعاء خاشع، ويذكرونه بقلب واجف..

ولا والله، لن يستطيع مسلمو اليوم أن يسيروا وراء خطا أجدادهم بالأمس، إلا إذا غمرت اللوعة قلوبهم، وتلظت الأشواق الإلٰهية بين جوانحهم، وملؤوا أكوابهم

بتلك الخمرة العلوية التي تنشلهم من قتام هذه الشهوات والأهواء، وتساموا بوجدانهم إلى مستوى **الحقيقة العليا**.

إن لوعة الحب وحدها هي السوط السائق، والتيار المحرك.. والمحب هو وحده الذي يبذل الجهد شوقاً إلى المحبوب، فيسهل بذلك عليه الصعب، ويقرب له البعيد، وتفنى لديه القوى، وتذوب فيه الحياة، ولا يرى أنه قد أوفى بعهد المحبة، أو قام بواجب شكر النعمة. ويوم يعمر هذا الحب قلوب المسلمين اليوم، يتكامل البنيان كله، ويتوفر العمل جميعه، وتتجلى معجزات التضحية والبذل والجهاد، وتتنزل معجزات النصر والعزة والتأييد.

* * *

٣٨

تجارب وتصورات.. عبر مسيرة الحياة

الأستاذ أبو الحسن الندوي

أقدم فيما يلي رسالة لأحد الأصدقاء، قدّم فيها الكاتب خلاصة جيدة وعصارة لفكري وتجاربي ودراساتي، وهذه الرسالة كتبها الأخ الكريم سهيل أحمد، **نزيل أمريكة**، وذكر فيها ما جرى في أحد مجالس شيكاغو التي تحدَّثتُ فيها، وأعربت عن آرائي وأفكاري، وتجدر هذه الرسالة بأن تُعرض على القراء، لأنها تشتمل على عرض سليم **لأفكاري وتصوراتي ودراساتي**، يقول الكاتب، في رسالته:

«سعدت بحضور أحد مجالس الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، في (٢٥/ ربيع الأول ١٤١٤هـ)، في شيكاغو، وكان ممن حضر هذه المجالس الدكتور محمد إسماعيل ميمن (أحمد مسترشدي الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المحدّث)، والدكتور مزمّل الصديقي من كاليفورنيا، وفي أثناء الحديث الذي جرى في ذلك المجلس، صرّح الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي وهو يلقي الضوء على الوضع الاجتماعي العام للمسلمين، أن اليهود والنصارى اتحدوا اليوم ضد المسلمين، رغم خلافاتهم الدينية وصراعاتهم التاريخية، وسُخّرت لمحاربة المسلمين **وسائلُ** النصارى **والصلاحيات** الذهنية لليهود، وتستخدم **لإخراج القيم الإسلامية من حياة المسلمين الاجتماعية والفردية**، فيجب في مثل هذا الوضع الخطير أن يكون المسلم

على **حذر** من هذا الخطر، ويحاسب نفسه، ويتأكد من أنه لا يقع **فريسة** لمكايد اليهود والنصارى وعرضةً لمؤامراتهم دون أن يشعر بها».

* وردّاً على سؤال وُجّهَ إليه عن إقامة نظام إسلامي، وتنفيذه في العالم الإسلامي، وكيفيته، قال: هناك طريقان، **أحدهما**: أن يصل رجال الدين إلى كرسي الحكم، **وثانيهما**: إيصال الدين والإيمان إلى رجال الحكم، أما الطريق الأول، ففيه أخطار كثيرة، ويُخشَى أن يفضّل رجال الحكم تحطيم الكراسي بدلاً من أن يخلوها لرجال الدين، وتتردّى الأمور، وتتدهور الأوضاع، وتصبح أسوأ مما عليه الآن، فضلاً عن أن تتحسن، ولكن المنهج الآخر هو منهج طويل، منهج يتطلب وقتاً، ويقتضي جهداً، ولكنه ثابت، متين، محكم، ولعله قد يكون لا مناص منه، وينعكس ذلك من منهج المجدّد للألف الثاني[1] وحركته للتجديد، أن يحتفظ رجال الحكم بكراسيهم، ويحتفظوا بهذا الشرف لأنفسهم، وأن رجال الدين يريدون إصلاح الكرسي، ولا يبتغون الكرسي بذاته.

صرّح الشيخ أن **لكل عصر تحدّياً**، وواجه المشايخ والعلماء والصالحون هذه التحدّيات بهمة عالية، وحكمة بالغة، وأن التحدّي الكبير للعالم الإسلامي في هذا العصر، **هو إعادة الثقة إلى الجيل المسلم الجديد** ـ الذي يعيش في البيئة الجديدة، وينشأ في جو الثقافة المعاصرة ـ **بالإسلام كدين كامل يسدُّ حاجات كل عصر**.

وإن زعزعة هذه الثقة تؤدي إلى الصراع الفكري بالنسبة لمكانة الإسلام، وقدرته العملية في العالم الإسلامي، وكنتيجة لزعزعة هذه الثقة، لا يسوغ لخريجي المدارس العصرية الغربية، أن يعتبروا الإسلام الذي مرّ عليه أربعة عشر قرناً، ديناً له مكانة في الحياة الفردية والاجتماعية، ومساهمة في معالجة القضايا المعقدة الراهنة، ونرى أن رجال هذه الطبقة هم يتولون أزمّة الأمور، ويملكون السلطة والنفوذ، فمنهم من يصرف جُلّ اهتمامه إلى محاربة الإسلام، ومجابهة العلماء والدعاة.

---

(١) وهو الإمام أحمد بن الأحد السرهندي المشهور بمجدّد الألف الثاني (يراجع لسيرته ومنهج عمله كتاب المؤلف، الجزء الثالث من سلسلة كتاب: رجال الفكر والدعوة في الإسلام).

فالعمل المطلوب الذي يحتاج إلى الأرجحية، والأولية، هو أن يُتَوَصّل إلى هذه الطبقة، وتبذل الجهود لإعادة الثقة إليها، ويختار لذلك أسلوب علمي يتطابق مع المستوى الفكري لرجال هذه الطبقة المثقفة، ويعرض الإسلام كمنهج كامل حيّ سديد للحياة، وتشرح قلوبهم له، وتفتح عقولهم به.

وأكد الشيخ على أهمية تنقية الكتب الدراسية، والمنهج التعليمي للطلبة المسلمين، لتحقيق هذا الهدف، وتنقيح الأفكار الإسلامية، والقيم الدينية، ومواد التربية الخلقية، والتعاليم الإسلامية فيها، **ليكون الشباب المسلم مع تزوّده بالعلوم العصرية جندياً قوياً وسفيراً مخلصاً أميناً للإسلام**، ولكن هذا المجال للعمل لا يزال فارغاً، وقد صرف العاملون المخلصون والعلماء الصالحون انتباههم عنه حتى الآن، وإذا تصدى له المخلصون، فإنه سيؤدي إلى وجود جيل مُسلم مثقف يتحلى بالقيم والتربية الدينية، ويحمل الغيرة الإسلامية، ثم يجتهد هذا الجيل لتنفيذ الإسلام في حياته الفردية والجماعية، تنفيذاً كاملاً.

وفي مساء ذلك اليوم تحدّث سماحته في اجتماع بعد المغرب، وجّه فيه **رسالة خاصة** إلى الشباب الذين يقطنون في أوروبة وأمريكة، ويدرسون في جامعاتها ومعاهدها التعليمية، قال فيها: «إن الغرب يعرض اليوم على العالم رقيه المادي الهائل، ولكن الحضارة الغربية داست القيم الخلقية والاجتماعية والروحية للإنسانية، وهي تدل دلالة ناصعة على فشلها التام، **وتعود إلى الشباب المسلم اليوم مسؤولية خاصة ليصهروا حياتهم الكاملة في البوتقة الإسلامية، ويقوموا بتربية أنفسهم التربية الروحية والخلقية بطريق يتأثر كل من يلتقي بهم، بأخلاقهم وسلوكهم، ومنهج حياتهم، وإن هذه النقطة تكون بمثابة دعوة قوّية مجلجلة إلى الإسلام**».

وقال سماحته: «إن المسلمين ليسوا بمكلّفين بصياغة حياتهم فحسب صياغة إسلامية، **بل يستطيعون أيضاً أن يؤدوا بهذا المنهج للحياة وظيفة دعوة الآخرين إلى دينهم، وفي حياة الصالحين والدعاة المسلمين نماذج صارخة لهذا المنهج**».

ونسأل الله التوفيق والسداد، آمين...

* * *

٣٩

خلاصات تجاربهم في نقاط

بَـلَـوتُ الـنـاس مُـذ خـمـسـيـن عـامـاً وحـسـبُـك بـالـمـجـرِّبِ مـن عـلـيـمِ

‹محمد بن حازم الباهلي›

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

القسم الأخير

في إطار الخبرة العامة

لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن،
ليستمع كلمة واحدة ينتفع بها فيما يستقبل
من عمره، ما رأيت أن سفره قد ضاع.

«الإمام الشعبي»

٤٠

خطوط عريضة لرؤى الشرق والغرب

ألذ الأشياء... التنزه في عقول الناس

«الخليفة المأمون»

كلمات ليست كالكلمات. . هي أدق وصف استعرته لرؤى الشرق والغرب، ليصيب كما يقولون كبد الحقيقة.

فهذه الرؤى التي تم قطافها من رياض متنوعة من هنا وهناك، هي أشبه ما تكون بدائرة معارف خُطت حروفها من مداد الواقع ووحي الخبرة. . ولقد آثرت أن تبقى على رونقها الأصلي كما أراد لها كتَّابها، من رقةٍ وجمال. . وعبرةٍ وعظة. . دون أي تزويق ـ مني ـ أو تنميق، حتى لا تفقد شيئاً من روحها، وتخرج عن السياق التي أُريد لها.

فاقرأ هذه الأفكار، وقِفْ أمام المعاني وتدبرها بعمق، **فإنها إليك رسائلُ**.

* * *

النافذة الأولى

رؤى من الشرق

٤١

التماثيل المكسورة.. تُريحهم

رجاء النقاش

هناك نوع من الناس يكره الامتياز، ويعادي التفوق، ويخاف خوفاً عميقاً من أن يرى شخصاً يتمتع بموهبة لامعة.. لا يحب أن يرى تمثالاً جميلاً تنظر إليه العيون بإعجاب، وتلتف حوله القلوب بأعمق ما فيها من عاطفة.. ولكنه يستريح تماماً إذا حطم هذا التمثال ورآه مجموعة متناثرة من الأحجار.. منظر الضعف يريحه ويسعده، وأوراق الخريف عنده أحلى من زهور الربيع، ومنظر الدمار يطمئنه على أن العالم بخير:

ليس فيه تفوق ولا امتياز. فاحذر هذا الصنف من معاشرته كل الحذر.

* * *

٤٢

الأماني.. لعبة عجزٍ وسراب

محمد الغزالي

لا تعلق بناء حياتك على أمنية يلدها الغيب، فإن هذا الإرجاء لن يعود عليك بخير. الحاضر القريب الماثل بين يديك، ونفسك هذه التي بين جنبيك، والظروف الباسمة أو الكالحة التي تلتف حواليك، هي وحدها الدعائم التي يتمخَّض عنها مستقبلك، فلا مكان لإبطاء أو انتظار.. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل**». ثم إن كل تأخير لإنفاد منهاج تجدد به حياتك، وتصلح به أعمالك لا يعني إلا إطالة الفترة الكابية التي تبغي الخلاص منها، وبقاءك مهزوماً أمام نوازع الهوى والتفريط.

* * *

٤٣

اقرأ آيات السكينة عند اضطراب القلب

عبد المنعم صالح العلي العزي

كان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة. وقد جربت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه، فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

* * *

٤٤

الإنسان العصري إلى أين؟

محمد إقبال

الرجل العصري بما له من فلسفات نقدية، وتخصص علمي، يجد نفسه في ورطة، فمذهبه الطبيعي قد جعل له سلطاناً على قوى الطبيعة لم يسبق إليه، لكنه قد سلبه إيمانه في مصيره هو. الإنسان العصري، وقد أعشاه نشاطه العقلي، كفّ عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة، أي إلى روحية تتغلغل في أعماق النفس، وهو في حلبة الفكر في صراع مع نفسه، وهو في مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية في كفاح صريح مع غيره، وهو يجد نفسه غير قادر على كبح أثرته الجارفة، وحبه للمال حبّاً طاغياً، يقتل كل ما فيه من نضال سامٍ شيئاً فشيئاً، ولا يعود عليه منه إلا تعب الحياة، وقد استغرق في «الواقع» أي في مصدر الحسّ الظاهر للعيان، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده، تلك الأعماق التي لم يسبر غورها بعد، وأخف الأضرار التي أعقبت فلسفته المادية، هي ذلك الشلل الذي اعترى نشاطه، والذي أدركه هكسلي وأعلن سخطه عليه.

* * *

٤٥

أفصح عن آرائك بلباقةٍ واعتدال.. ودون خوف

فيليب حتّي

علمتني الحياة أن أعرب عن آرائي ـ إذا طلب إليَّ ذلك ـ في اعتدال ولباقة، وطبقاً لما يمليه الضمير، ووفقاً لما تتطلبه الأمانة الفكرية.. وذلك بغضّ النظر عما إذا كانت تلك الآراء مناسبة أو مقبولة من الجانب الآخر، سواء أكان مستمعاً أم قارئاً. وبعده، فإن المرء إنما يعيش مع نفسه، ولن تتاح السعادة أبداً ما لم يتوفر السلام الوثيق بين اللسان والقلم من ناحية، وبين المبادئ الشخصية من الناحية الأخرى.

* * *

٤٦

الآراء ليس لها قداسة

إميل زيدان

علمتني الحياة ألا أؤمن برأي ـ أيّاً كان ـ على أنه حقيقة غير قابلة للتعديل، فسُنَّة الحياة الأولى النمو والتجدد. . والعاقل من فهم هذه السُّنَّة، فكان دائماً منفتح الذهن مستعدّاً لتقبل كل رأي جديد.

* * *

٤٧

سجين الفكرة

مصطفى صادق الرافعي

أشد سجون الحياة فكرة خائبة، يُسجن الحيُّ فيها، لا هو مستطيع أن يدعها، ولا هو قادر أن يحققها، فهذا يمتد شقاؤه ما يمتد، ولا يزالُ كأنه على أوله، لا يتقدم إلى نهاية، ويتألم ما يتألم، ولا تزال تشعره الحياة أن كل ما فات من العذاب إنما هو بدءُ العذاب.

* * *

٤٨

النضج مراحل

عبد الكريم الخطيب

إن الإنسان لتختلف نظرته إلى الحياة، وإلى الأشياء باختلاف ظروفه وأحواله.. فما يعجبه اليوم قد يزهد فيه غداً.. وما كان بغيضاً إليه بالأمس قد يفتنه اليوم.. فلكل طور من أطوار الحياة عند الإنسان أفق خاص يرى منه العالم الذي يعيش فيه، فتختلف عليه معالم الأشياء باختلاف الآفاق التي يمد منها بصره إليها.

* * *

٤٩

بابٌ دون باب

باسل شيخو

إن مفهوم الضحية المتمثِّل في محاكماتنا وقناعاتنا، كان وما زال هو العامل الأهم الذي يقصينا عن رؤية الحقيقة واضحة بينة كضوء الشمس.

بل هو عينه الذي يباعد بيننا وبين سيرنا في مدارج الرقي والنضج وتحمل المسؤولية، وهذه القناعة المتجذِّرة في زاوية عقولنا هي التي تدفعنا بدورها لإلقاء اللائمة على ما سوانا، وإعلان البراءة شبه التامة لأنفسنا وكياناتنا.

فإذا ما بقينا نراوح ضمن هذه المنظومة المهترئة كأسباب. . فإننا لن نتمكن من الصعود في مراقي النجاح والفلاح المبتغى كنتائج.

ولاجتياز هذه العقبة النفسية ـ القديمة الجديدة ـ لا بد لنا من تخطي العقبات الست التالية:

- أن نغلق باب التبرير.. ونفتح باب الاعتراف بالخطأ.
- أن نغلق باب اللوم.. ونفتح باب تحمل المسؤولية.
- أن نغلق باب اللغة السلبية.. ونفتح باب اللغة الإيجابية.
- أن نغلق باب القساوة.. ونفتح باب المرونة.
- أن نغلق باب الأوهام.. ونفتح باب الحقائق.
- أن نغلق باب التعميم.. ونفتح باب التخصيص.

* * *

٥٠

فرقٌ.. وأي فرق!!

أحمد أمين

فرق كبير بين أن ترى الرأي وأن تعتقده، إذا رأيت الرأي فقد أدخلته في دائرة معلوماتك، وإذا اعتقدته جرى في دمك، وسرى في مخ عظامك، وتغلغل في أعماق قلبك.

ذو الرأي فاتر أو بارد، إن تحقق ما رأى ابتسم ابتسامة هادئة رزينة، وإن لم يتحقق ما رأى فلا بأس، فقد احترز من قبل بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيره خطأ يحتمل الصواب، وذو العقيدة حار متحمّس، لا يهدأ إلا إذا حقق عقيدته.

ذو الرأي سهل أن يتحول ويتحوَّر، هو عند الدليل، أو عند المصلحة، تظهر في شكل دليل، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله ﷺ: «**لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أدع هذا الذي جئت به ما تركته**».

* * *

٥١

من جرَّب مثل تجربتي.. عرف مثل معرفتي

الفخر الرازي

قال الإمام الفخر الرازي بعد أن حصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين، وطاف بدائرة المعارف الفلسفية والكلامية لعصره: «لقد تأملت الكتب الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. . ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي».

* * *

٥٢

الخطة المثلى للبناء والارتقاء

رجاء النقاش

من الخطأ أن نرسم لأنفسنا خطة ضخمة لأعمال كبيرة، وننتظر أن يتحقق ذلك بصورة مفاجئة. . فإذا لم يتحقق ما كنا نحلم به أصابتنا التعاسة وامتلأت نفوسنا بالكآبة والهم.

إن ذلك هو خطؤنا وليس خطأ الحياة. . والطريق الصحيح الذي يقودنا إلى نبع الحياة الحلو، وسحرها الدافئ، هو أن يقول الإنسان لنفسه:

«إن الخطة المثلى هي أن أعمل الواجب القريب مني».

* * *

٥٣

غالباً ما تأتي الفرص «متنكرة»

علي الوردي

من الجدير أن نقول بأن النجاح على قدر الهدوء والاسترسال وعدم التكلف، وذلك لكي نستثمر الومضات المبدعة التي تنبعث اللاشعور في حياتنا. وكثيراً ما تمر الفرص الثمينة علينا مر السحاب. وهي تكون هينة جدّاً عند مرورها، ثم تصعب كلما ابتعدت عنا. والواجب علينا إذن أن نغتنمها حال مرورها من غير أن نلجأ إلى تفكير أو تردد أو استعداد.

بَيْدَ أن الذين يعتقدون بأن النجاح على قدر المشقة قد لا يغتنمون الفرص، ولعلهم لا يتصورون أنها فرص ثمينة حين تمر بهم وذلك لسهولة منالها. فهم لا يقدّرون قيمتها إلا بعد فواتها وعند ذلك يضربون يداً بيد متأسفين. وكثيراً ما يكون أنفع الأشياء هو ذلك الذي يكون أهونها وأيسرها في وقت من الأوقات.

إن يسره وسهولة مناله يجعل الإنسان لا يصدق أنه ثمين ونافع، سيما إذا كان معتاداً على أن لا يحصل على الشيء الثمين إلا بعد مشقة، وعلى هذا المنوال تضيع الفرص على الناس.

* * *

٥٤

ومن العنكبوت نتعلم

محمد راتب الحلاق

إن العنكبوت يصنع نسيجاً دقيقاً من الحرير الناعم، يلتقط بها كل شيء يمر به أو يحوم حوله، ويحتفظ به بين خيوطه الدقيقة الرفيقة، فاجتهد أن لا تفوتك فرصة واحدة دون أن تستفيد منها في اقتناء كل شيء جديد مهما كان صغيراً.

* * *

٥٥

القدوة تناديا.. فهل من مجيب؟

مصطفى صادق الرافعي

لو أقام الناسُ عشر سنين يتناظرون في معاني الفضائل ووسائلها، ووضعوا في ذلك مئة كتاب، ثم رأوا رجلاً فاضلاً بأصدق معاني الفضيلة، وخالطوه وصحبوه، لكان الرجلُ وحده أكبر فائدة من تلك المناظرة، وأجدى على الناس منها، وأدلَّ على الفضيلة من مئة كتاب، ومن ألف كتاب.

ولهذا يرسلُ الله النبي مع كل كتاب منزلٍ، ليعطي الكلمة قوة وجودها، ويخرج الحالة النفسية من المعنى المعقول، وينشئ الفضائل الإنسانية على طريقة النسل من إنسانها الكبير.

* * *

٥٦

إقبال الناس لا يُطلب.. بل يُوهب

أحمد معاذ الخطيب الحسني

بعض الخطباء وكثير من الناس يعتقدون أن خطبة الجمعة مجرد فريضة تؤدَّى، ولا يعلمون أنها مفتاح تغيير شامل يمكن أن يكون من أقوى عوامل نهضة الأمة!.

وبسبب الكسل وقلة المعرفة وربما الغرور! صارت خطبة الجمعة تستدعي النوم بدل أن تبعث في المجتمع الحياة.. «فإقبال الناس لا يُطلب.. بل يوهب».

* * *

٥٧

ومن هنا نبدأ التغيير

عبد الله ناصح علوان

إن الداعية حين تمتلئ نفسه بتقوى الله، وحين يستحضر في قلبه مراقبته وعظمته، وحين يواظب على التلاوة تدبُّراً وخشوعاً، وحين يكون مع النبي ﷺ تخلقاً واقتداءً، وحين يصاحب الأخيار من أهل القلوب والمعرفة.. أخذاً منهم واكتساباً، وحين يذكر الله عز وجل على الدوام تثبيتاً واطمئناناً، وحين يستمر في عبادة النافلة تقرباً وخشوعاً..

الداعية حين يكون بهذه الأحوال وهاتيك المجاهدات فإذا خطب أو تحدث أو دعا إلى الله.. رأيت الإيمان يبرق من خلال عينيه، والإخلاص يشرق من تقاسيم وجهه..، والصدق يتدفق من حنان صوته، وخشوع لهجته، وإشارة يده.. بل كلامه يسري في القلوب، ويبدد ظلام النفوس. كما يسري الماء القراح البارد في النفوس العطشى، وكما يبدد النور الساطع موجات الظلام..

أولئك الذين هدى الله فبهداهم يهتدي الخلق، وبدعوتهم يستجيب الناس، وبموعظتهم تخفق القلوب، وتذرف العيون، وبتذكيرهم يتوب العاصي ويهتدي الضالُّ!!.

* * *

النافذة الثانية

رؤى من الغرب

٥٨

كلام طالما سمعناه.. بَيْدَ أنَّ للجهل عذر

ثوريو

سيقول لك الكثيرون: إنك لا تستطيع، وإن هذا مستحيل، وذلك غير ممكن وغير مناسب وغير لائق وغير مفيد... فلا تصدِّقهم.. حاول كل ما تعتقد بنفسك أنك تستطيعه وستكتشف أنك على حق، وأنك ستنجح وتفاجئ الجميع.

* * *

٥٩

صفتان استهان بهما الناس.. الصراحة والوضوح

موريبل سولومون

تعلم أن تجيب على أسئلة الآخرين بقدر ما تستمع إليهم.

ولا تتردد في إخبارهم بما تشعر به إذا كنت تشعر بالضيق أو الإحباط أو الغضب، فلا أحد يستطيع أن يعرف ما يدور بداخلك.

في أحيان كثيرة يكون الخطأ غير مقصود ويمكن تداركه بسهولة إذا توافرت المصارحة.

ثم احرص على توجيه انتقاداتك بصيغة الأسئلة بدلاً من إلقاء الاتهامات جذافاً. إنك إذا حرصت على عدم إحراج الآخرين، فإنك بهذا تعطي لهم فرصة للتفكير في تغيير أفكارهم.

* * *

٦٠

التوافق والانسجام.. هناءٌ واستمرار

هول بوك

أُقدّم واحدة من أهم نصائحي إلى الذين يُقدمون على الزواج أن يجلسوا ويخالطوا الشريك الذي اختاروه لحياتهم قدر الإمكان قبل الزفاف.

فمثلاً على كل طرف أن يراقب الطرف الآخر: كيف يتعامل أفراد أسرته مع بعضهم؟ وما هي وجهات نظرهم السياسية والدينية؟ وكيف يتعاملون مع مسألة المال؟ وهل يتشاجرون أثناء حلّ المشكلات أم يحلونها بهدوء؟.. ولا تأخذ بالافتراض الساذج والقائل بأن شريك الحياة المستقبلي أو شريكة الحياة المستقبلية سيكونان مختلفين تماماً عما يبدو منه أو منها في بيت أهله أو أهلها؛ لأنه من شبَّ على شيء شاب عليه، بمعنى أنه سيتصرف كما تربَّى أو كما تربَّت. وأنا لا أنكر أنهما ربما يتغيران، لكن هذه التغيرات تسبق عادة ذلك بسنوات. ويمكنك أن تتأكد من أن الأسلوب والمزاج والأفكار التي نشأ عليها المحبوب ستتوّج علاقته مع شريك حياته، أو ستتوج علاقتها مع شريك حياتها في السنوات اللاحقة.

* * *

٦١

العيش في اللحظة القادمة.. حرمانٌ وألم

ديل كارنيجي

من أفجع الحقائق في الحياة الإنسانية أن الناس يميلون إلى الهروب من الحياة، ويلذ لهم أن يتمتعوا بالبعيد الذي يحلمون به كأنه زهرة في الأفق، أكثر من التذاذهم بشم الأزاهير الموضوعة بقرب نوافذ غرفهم ذاتها.

* * *

٦٢

داخل حجرات الروح.. إما صراعٌ أو سلام

داڤيد ماكي

تخاض أعظم معارك الحياة يومياً داخل حجرات صامتة في الروح.

فإذا ما كسبت تلك المعارك، وسويت مواضيع ذلك الصراع الداخلي، فسوف تشعر بالسكينة، وتعرف ما الذي تريده. وستجد أن الانتصارات العامة ـ التي تميل فيها إلى التعاون مع الآخرين، وإلى تعزيز رفاهيتهم وخيرهم، وأن تسعد بصدق لنجاحهم ـ سوف تتبع بشكل طبيعي.

* * *

٦٣

إلى متى نعطي الأشياء أكثر من قيمتها؟!

هنري ثورو

منذ قرن مضى غمس هنري ثورو قلمه المصنوع من ريش الإوز في المحبرة التي أتم صنعها في بيته، ثم كتب في مذكراته ما يلي:

تقاس قيمة الشيء بمقدار الفائدة التي تعود عليك منه، وبمدى الخبرة التي يهبك إياها، صريحة أقولها تلك الكلمة بأننا حمقى إذا أعطينا الشيء قيمة لا يستأهل مقدارها.

* * *

٦٤

حضانة الفكرة لا خنقها.. نواة الإبداع

فيليكس جاكبسون

إن معظم الأفكار تولد جامدة وتحتاج إلى حقنها بنسمة من الحياة من خلال خطط محددة للتنفيذ الفوري. والوقت اللازم لرعاية الفكرة هو وقت ولادتها، وكل دقيقة تحياها الفكرة تعطيها فرصة أقوى بالعيش والاستمرار. وهكذا يكون الخوف من انتقادات الآخرين هو أساس قتل معظم الأفكار التي لا تصل إلى مرحلة التخطيط والتنفيذ.

* * *

٦٥

لا تحقرنَّ من الإنجاز شيئاً

زيج زيجلر

إن الحياة مثل التنس، فمن يقوم بضربات الإرسال أفضل نادراً ما يخسر. ومن واجبك أن تعيش حياتك وتترك شيئاً للأجيال القادمة.

إن ترك ميراث من الأخلاق والقيم والإنتاجية لأمر يستطيع الجميع القيام به.

ومع الأسف، يعمل الكثير من الناس وهم يتوهمون أنهم ما لم يقوموا بإنجاز ضخم فلن يكونوا قد فعلوا شيئاً ذا قيمة! وهذا أمر في غاية السوء! فالابتسامات الودودة وكلمات التشجيع والود والكياسة ومراعاة الآخرين هي كل ما نحتاج إليه بشدة في مجتمع اليوم.. ومثل هذه التصرفات هي ما يجعل لك تأثير على أجيال المستقبل.

* * *

٦٦

لا للجوازم والحدّيات

فرانكلين

لقد جعلت من الامتناع عن انتقاد الآخرين مباشرة ومن التأكيد على إيجابية أفكاري، قاعدة لتصرفاتي. كما امتنعت عن استخدام أية كلمة أو تعبير في اللغة يشتمل على تثبيت للرأي مثل كلمة «بالتأكيد»، و«من دون شك»... إلخ، وتبنيت عوضاً عنها كلمة «أعتقد» و«أظن» أو «أتخيل».

... وعندما يحاول شخص ما تأكيد فكرة معينة، ظننت بها خطأ، كنت أنكر على نفسي متعة انتقاده المفاجئ وإظهار سخافة مقترحاته بسرعة:

فكنت في جوابي أبدأ بقولي: إن رأيه يصح في حالات أو ظروف معينة، إلا أنها بالنسبة للظروف الحالية، تظهر أو تبدو لي مختلفة قليلاً..

وسرعان ما وجدت ميزات هذا التغيير الذي أجريته على سلوكي، فكانت الأحاديث التي أشارك بها تجري بمتعة أكثر. كما كانت الطريقة المتواضعة التي أقترح بها آرائي تؤثر بالآخرين وتقلل من انتقادهم. وكنت أشعر بخزي أقل عندما يكتشف أحد أخطائي، بينما استطعت إقناع الآخرين بالتخلي عن أخطائهم، ومشاركتي بما أحمل من أفكار صائبة.

* * *

٦٧

على صخرة التردد.. تُنحر المواهب

مؤلف مجهول

لقد سقط الكثيرون صرعى تحت أسوار التردد، وعلى صخوره تحطمت سفن ملايين الأشخاص الذين جلسوا على عتبة النصر ينتظرون ويتمنون، فكان في انتظارهم هذا موتهم، وفي مُنيتهم منيتهم.

* * *

٦٨

القرار قرارك

ستيفن كوفي

الإنسان يولد ومعه هدايا وهبات فطرية ضرورية لحياته ومستقبله، وهي غالباً ما تبقى مغلقة ومغلفة دون توظيف، حتى نقرر نحن استخدامها، لأنه لا يمكن أن يستثمرها أحد غيرنا، فلا يمكن أن تمتد إليها يد إلا يدنا.

* * *

٦٩

مؤشرات الرجولة

رودیارد کیبلینغ

* إذا وثقت بنفسك حين يشك فيك الجميع، وإذا استقبلت النصر كما تستقبل الهزيمة سواء بسواء، وإذا استطعت أن ترى المعول يهدم كلَّ ما كرَّست حياتك من أجله وتنهض لتبني مجدداً ما قد تهدَّم، وإذا استطعت أن تملأ فراغ كل دقيقة من حياتك بالعمل المفيد. . ساعتئذٍ تصبح رجلاً يا ولدي.

* * *

٧٠

دعوة للسلام الداخلي

أنجلو باتري

ألف «أنجلو باتري» ثلاثة عشر مجلداً، وآلافاً من المقالات التربوية للأطفال، ولكنه لم يتأثر إلا بهذه الجملة التي قالها:

«ليس أشقى من الإنسان الذي يود أن يكون إنساناً آخر غير الذي يؤهله له كيانه الجسدي والفكري».

* * *

٧١

حتى لا تسير في دروب العزلة

أوفر ستريت

أفضل نصيحة يمكن تقديمها للذين يقومون بدور المقنع في العمل أو البيت أو المدرسة أو في الشؤون السياسية، هي أولاً: حرِّك في الشخص الآخر الرغبة للقيام بعمل ما؛ فالذي يستطيع فعل ذلك، يمتلك الدنيا، ومن يفشل يسر في دروب العزلة.

* * *

٧٢

إذا هِبت أمراً فقع فيه

ستيف تشاندلر

لقد اعتقدت من قبل أن بإمكاني الهروب من الأفكار التي أحملها عن نفسي والتي تصيبني بالرعب، ولكن كل ما يفعله الهرب هو إيجاد صراعات ومخاوف داخلية أكثر عمقاً، وما كنت أحتاجه حقّاً هو أن أخرج مخاوفي إلى النور وأبسطها حتى أفهمها، وبمجرد أن فعلت هذا بشكل منهجي استطعت أن أُبطل مفعول هذه المخاوف كما يبطل خبير المفرقعات مفعول القنبلة. فقبول هذه المخاوف، والوعي الكامل بها ـ وما تقود إليه من سلوك التدمير الذاتي ـ كان «المكان الذي لم أذهب إليه من قبل»، وبمجرد أن ذهبت إلى هذا المكان استطعت أن أغادره.

* * *

٧٣

آزرهم متى وجدتهم.. ولك سهم

جورج برنارد شو

هناك نوعين من البشر يعيشون في هذا العالم: النوع التقليدي والنوع غير التقليدي. فالنوع التقليدي من البشر يُكيف نفسه مع العالم من حوله، أما النوع غير التقليدي من البشر فيُكيف العالم من حوله على خصائص نفسه. وعلى ذلك، فكل التقدم الذي نشهده يعتمد على النوع غير التقليدي من البشر. وبنفس المنطق نقول: إن غير التقليديين هم الذين يقودون ركب الابتكارات اليوم.

* * *

٧٤

الزمن.. جزءٌ من المعرفة

هنري بولاد

يسألوني أحياناً: «كم تقضي من الوقت في إعداد محاضرة؟» أجيب: «ثلاثين سنة»! نعم ثلاثين سنة؛ لأنّ الساعتين أو الثلاث التي أعِدّ فيها المحاضرة ما هي إلا جمع لعشرات آلاف العناصر التي استقيتها طوال حياتي من أفكار وأحاسيس ومشاعر وخبرات، تذوّقتها طويلاً وأحببتها واستطبتها، وجمعتها قبل المحاضرة في باقة أو في حزمة واحدة. فإعداد المحاضرة لا يتمّ في ساعة واحدة ولا في يوم واحد أو أسبوع أو شهر بل طوال حياة كاملة. **فإن لم تخرج الكلمات من عمق الروح والكيان، لن يكون لها أيّ قيمة أو مذاق. وفي هذا يكمن الفرق بين حقيقة نتعلّمها وحقيقة نعيشها.**

* * *

٧٥

وتعيها أُذنٌ واعية

- النقد مثل المطر ينبغي أن يكون يسيراً بما يكفي ليغذي نمو الإنسان دون أن يدمر جذوره. «فرانك كلارك»
- عندما يغلق باب ينفتح آخر، لكننا غالباً ننظر طويلاً وبحسرة إلى الباب المغلق حتى إننا لا نرى الأبواب التي تفتح لنا. «الكسندر جراهام بيل»
- يتطلب تعلم بعض الأمور على الوجه الأفضل أجواء هادئة، وبعضها يتطلب أجواء عاصفة. «ويللا كاثر»
- لا تحرق الجسر بعد أن تعبره، فإنك لا تعلم كم مرة ستضطر فيها إلى عبور النهر.

«مؤلف مجهول»

- أقلع عن هذه العادة: أن تضع الحجر الأول، واشتغل بصلابة لتصل، أقله مرة في حياتك، إلى أن تضع الحجر الأخير في مشروع ما. «غالندورونير»

وها أنذ أغلق نافذتي.. لتفتح أنت نافذتك.. ثم تردد بصوت مسموع لحن الشيرازي: «عجبت لمن يكون في البستان، ثم يأتي الآخرين ويداه فارغتان».

٧٦

خلاصات تجاربهم في نقاط

وحنكتني من الأيام تجربة حتى نهيتُ الذي قد كان ينهاني

‹شاعر عربي›

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

٧٧

اصدق نفسك..

وكأني أسمع ذاك الصوت الذي تردد في ذهنك حينما نظرت إلى طباعة هذه الورقة بهذا الشكل الخاطئ. . والذي استدعى منك وعلى الفور **مبادرة قوية**. . وحركة لاشعورية لتغيير وضعية الكتاب الذي بين يديك، وذلك ابتغاء قراءة هذا الكلام المطبوع وما يرمي إليه.

وحقيقة الأمر أن هذه بضع كلمات، بل حروف قد ـ أقول: قد ـ لا تقدم شيئاً في مسيرة حياتك ولا تؤخر. ومع هذا فإنك **لم تستطع إلى ذلك صبراً!!**.

أسألك بالله: أفليس من الأولى لك ـ وأنت الحريص ـ على رؤية الأشياء بشكلها السليم والصحيح دون أدنى تشويه، أن تنظر إلى أطياف فلسفتك، ونظام معتقداتك وسلوكياتك الخاص بك، نظرة مختلفة يمزج فيها القديم بالجديد من خلال هذه الخبرات والتجارب التي اطلعت عليها.

لتثبت ما من شأنه الإثبات، أو تغير ما قد يستوجب التغيير، **وأجزم بأن الجواب كل منا يعرفه**.

* * *

آراء شخصية

اِقْـرِنْ بِـرَأْيِـكَ رَأْيَ غَـيْـرِكَ وَاسْـتَـشِـرْ فَـالـحَـقُّ لا يَـخْـفَـى عـلـى اثْـنَـيْـنِ

«الأزّجاني»

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

نصائح شخصية

إن النصائحَ لا تُخفي مناهِلَها على الرِّجالِ ذوي الألبابِ والفَهمِ

«الأصمعي»

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

الخاتمة

وبعد أيها السائر نحو الأفضل: إن الواحد منا لا يخرج ـ فيما أعلم ـ عن نطاق دائرتين.. فإما أن تكون له تجارب خاصة به فهو يعرف كيف يستثمرها ويستفيد منها، أو لا يكون ذلك، فليلقِ السمعَ جيداً للآخرين محاولاً الاستفادة ـ بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ـ من غزارة معارفهم، وواسع تجاربهم. هذا أمر، والأمر الآخر متعلق بالخبرات الثمينة التي وقفت عندها في الأسطر التي خلت من قبل، فهي بحق بمثابة قنطرة ـ ساقها الله عز وجل إليك ـ للبناء فوقها، لا التوقف عندها والاكتفاء بمجرد معرفتها ثم على الدنيا السلام.

وفي الختام وقبل أن تطوي صفحات هذا الكتاب الذي بين يديك ليأخذ مكانه إلى جوار إخوته، فلا أحبَّ لقلبي، ولا أقرَّ لعيني، أن أستودع عندك قول ابن المقفع **«التجارب زيادة في العقل»**.

وشعر لبيد بن ربيعة:

وفي غابر الأيام ما يعظ الفتى ولا خير في من لم تعظه التجارب

* * *

واعلموا..

أن المعارف التي نجمعها من هذه الخبرات والتجارب هي محصول نفيس ولا شك، ولكنه محصول لا يفيد كثيراً ما لم نغربلها ونوزعها على مواضعها من خزائن **العقل والنفس والسلوك**.

ثم اعلموا..

أن الكتب لا تغني عن تجارب الحياة، كما لا تغني التجارب عن الكتب، ذلك أننا نحتاج إلى قسط من التجربة لكي نفهم حق الفهم، أما أن التجارب لا تغني عن الكتب، فذلك لأن الكتب هي تجارب آلاف من السنين في مختلف الأمم والعصور، ولا يمكن أن تبلغ تجربة الفرد الواحد أكثر من عشرات السنين.

عباس محمود العقاد «رحمه الله»

* * *

المراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **الأدب الصغير والأدب الكبير**: عبد الله بن المقفع، شرح ودراسة د. معين قمحة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، دار الشَّواف.

٣ ـ **أروع ما قيل من الأمثال**: إميل ناصيف، دار الجيل.

٤ ـ **أسئلة تصل بك إلى الهدف**: أندرو فينالسون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، مكتبة جرير.

٥ ـ **استخدم عقلك**: نصري خضر الطرزي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م، دار التنوير.

٦ ـ **الأعمال الكاملة**: مصطفى لطفي المنفلوطي، دار الشرق العربي.

٧ ـ **أغاني الأغاني مختصر أغاني الأصفهاني**: تخيرها وتنخلها وجمعها الخوري يوسف عون، صحح شرح الحواشي عبد الله العلايلي، مؤسسة أ. بدران.

٨ ـ **أنا**: عباس محمود العقاد، ١٩٩٦م، دار نهضة مصر.

٩ ـ **الإنسان الفعال**: جمال جمال الدين، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، دار الفكر.

١٠ ـ **الإنسان وسر الزمن**: هنري بولاد، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، دار المشرق.

١١ ـ **الإنسان يبحث عن المعنى**: الدكتور فرانكل، ترجمة الدكتور طلعت منصور، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م، دار القلم.

١٢ ـ **أيقظ قواك الخفية**: أنتوني روبنز، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، مكتبة جرير.

١٣ ـ **الإيمان والحياة**: د. يوسف القرضاوي، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، مؤسسة الرسالة.

١٤ ـ **بدائع الحكم من وحي القلم**: لمصطفى صادق الرافعي، جمعها وبوبها حسن السماحي سويدان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، دار القلم.

١٥ ـ **تأملات في الانسان**: رجاء النقاش، ٢٠٠٣م، مكتبة الأسرة.

١٦ ـ **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**: ابن جماعة الكناني، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية.

١٧ ـ **تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة**: عبد الواحد علواني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دار الفكر المعاصر.

١٨ ـ **تهذيب مدارج السالكين**: ابن قيم الجوزية، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، الطبعة السادسة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

١٩ ـ **جدد حياتك**: محمد الغزالي، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، دار القلم.

٢٠ ـ **جمال الدين القاسمي**: محمود مهدي الإستانبولي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

٢١ ـ **جواهر الأدب**: السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف.

٢٢ ـ **الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى**: سعيد بن علي بن وهب القحطاني، دار الإيمان.

٢٣ ـ **حياتي**: أحمد أمين، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي.

٢٤ ـ **خطوات بسيطة**: د. آرثر كاليا ندرو، وباري لينسون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، مكتبة جرير.

٢٥ ـ **خلق المسلم**: محمد الغزالي، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، دار القلم.

٢٦ ـ **خوارق اللاشعور**: د. علي الوردي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، دار الورَّاق.
٢٧ ـ **خواطر في زمن المحنة**: يمان السباعي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦، مكتبة أسامة.
٢٨ ـ **خواطر من واحة الفكر**: الدكتور سامي القبّاني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، دار الفكر.
٢٩ ـ **دع القلق وابدأ الحياة**: دايل كارنيجي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، دار أسامة.
٣٠ ـ **ديوان الإمام الشافعي**: جمعه وحققه وشرحه د. إميل بديع يعقوب، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار الكتاب العربي.
٣١ ـ **الرسالة القشيرية**: للإمام أبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري، مكتبة أبي حنيفة.
٣٢ ـ **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**: د. عبد الوهاب المسيري، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٣٣ ـ **روحانية الداعية**: عبد الله ناصح علوان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م، دار السلام.
٣٤ ـ **سر النجاح في شخصيتك**: أحمد الملا، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، دار الصفوة.
٣٥ ـ **السعادة تنبع من الداخل**: جان باول اليسوعي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، دار المشرق.
٣٦ ـ **السعادة كما يراها المفكرون**: سيِّد صديق عبد الفتاح، مؤسسة عز الدين.
٣٧ ـ **سكينة الروح**: د. ت. بيرم كرسو، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، الحوار الثقافي.
٣٨ ـ **سلسلة أخبار العرب**: حسن مغنية، ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م، مؤسسة عز الدين.
٣٩ ـ **شبيبة متمردة**: أ. غالندو ـ ف. دونير، الطبعة الخامسة، ١٩٩٦م، دار المشرق.
٤٠ ـ **شهادة العصر والتاريخ**: أنور الجندي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، دار المنارة.
٤١ ـ **شوربة دجاج لحياة لا تعرف اليأس**: جاك كانفيلد ـ مارك هانسن ـ هيثر ماكنامارا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، مكتبة جرير.

٤٢ ـ **صيد الخاطر**: ابن الجوزي، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ ـ١٩٩٤م، دار الكتاب العربي.

٤٣ ـ **العادات السبع للقادة الإداريين**: ستيڤن كوڤي، ترجمة: هشام عبد الله، ١٩٩٨م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٤٤ ـ **العادة الثامنة من الفعالية إلى العظمة**: ستيڤن كوڤي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، دار الفكر.

٤٥ ـ **العادة الثامنة**: ستيڤن كوڤي، مجلة خلاصات، السنة الثانية عشرة، العدد ٢٢٨، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، شركة شعاع.

٤٦ ـ **العبقرية والإبداع والقيادة**: دين كيث سايمنتن، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، عالم المعرفة.

٤٧ ـ **العقد الفريد**: ابن عبد ربه، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، دار إحياء التراث.

٤٨ ـ **علمتني الحياة**: بأقلام نخبة من الشرق والغرب، دار الهلال.

٤٩ ـ **علموا أنفسكم فن الحياة**: محمد راتب الحلاق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٥٠ ـ **العمل مع أصعب الناس**: موريل سولومون، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، مكتبة جرير.

٥١ ـ **عيون الأخبار**: ابن قتيبة الدينوري، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار الكتاب العربي.

٥٢ ـ **عين الأدب والسياسة**: ابن هذيل، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية.

٥٣ ـ **فاتحة القرآن وجزء عمَّ الخاتم للقرآن**: محمد محمود الصواف، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م، دار المنارة.

٥٤ ـ **فكّر تصبح غنياً**: فيلكس جاكبسون، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، الدار العربية للعلوم.

٥٥ ـ **الفوائد**: ابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، مكتبة دار البيان.

٥٦ ـ **قدرات غير محدودة**: أنتوني روبنز، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، مكتبة جرير.

٥٧ ـ **قصتي مع الحياة**: خالد محمد خالد، دار أخبار اليوم.

٥٨ ـ **قصة تجاربي مع الحقيقة**: المهاتما غاندي، الطبعة السادسة، ١٩٨١م، دار العلم للملايين.

٥٩ ـ **القلائد من فرائد الفوائد**: د. مصطفى السباعي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، دار الورّاق.

٦٠ ـ **قوة التركيز**: جاك كانفيلد، مارك ڤيكتور هانسن ـ لس هيوت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، مكتبة جرير.

٦١ ـ **الكشكول الصغير**: محمود الأرناؤوط، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، دار ابن العماد.

٦٢ ـ **كلمات من ذهب**: ناديا الجردي نويهض، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، دار الحداثة.

٦٣ ـ **كيف تتعامل مع الناس؟**: دايل كارنيجي، ١٩٩٧م، دار أسامة.

٦٤ ـ **كيف تُحِبّ وتُحَبّ؟**: د. بول هوك، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، دار الجديد.

٦٥ ـ **كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث؟**: د. إميل يعقوب، جروس برس.

٦٦ ـ **كيف تكسب الأصدقاء؟**: دايل كارنيجي، ١٩٩٦م، دار مكتبة الهلال.

٦٧ ـ **للأزواج فقط! وألوان من النقد الاجتماعي**: إبراهيم عاصي، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، دار البشير.

٦٨ ـ **لا تقل نعم عندما تريد أن تقول لا**: د. هربرت فنسترهيم، إعداد وتقديم د. رامز زكي الزيّات، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، المركز الدولي.

٦٩ ـ **مئة طريقة جديدة لتحفيز نفسك**: ستيف تشاندلر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، مكتبة جرير.

٧٠ ـ **مجمع الأمثال**: أحمد النيسابوري الميداني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية.
٧١ ـ **مجنون التراب، دراسة في شعر وفكر محمود درويش**: شاكر النابلسي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٧٢ ـ **المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران**: قدم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة.
٧٣ ـ **محرمات استهان بها الناس يجب الحذر منها**: محمد صالح المنجد.
٧٤ ـ **مذكرات إمام الدعاة**: محمد زايد، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م، دار الشروق.
٧٥ ـ **مسافر في قطار الدعوة**: د. عادل الشويخ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار البشير.
٧٦ ـ **المقتبس من وحي الرسالة**: خليل الهنداوي وعمر الدقاق، دار الشرق العربي.
٧٧ ـ **من الفكر والقلب**: محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي.
٧٨ ـ **من علم النفس القرآني**: د. عدنان الشريف، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، دار العلم للملايين.
٧٩ ـ **من حديث النفس**: علي الطنطاوي، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، دار المنارة.
٨٠ ـ **المهمة الممكنة**: كين بلانشارد ـ تيري واغورن ـ جيم بيلارد، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، مكتبة جرير.
٨١ ـ **موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة**: د. روحي البعلبكي، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.
٨٢ ـ **النجاح للمبتدئين**: زيج زيجلر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، مكتبة جرير.
٨٣ ـ **نداءات الاستيقاظ**: جوان لوندون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، مكتبة جرير.
٨٤ ـ **هكذا علمتني الحياة**: د. مصطفى السباعي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، دار الورّاق.
٨٥ ـ **هكذا علمني محمد الغزالي**: علاء الدين آل رشي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، دار الوراق.
٨٦ ـ **ينابيع في الصحراء**: تعريب كيتي طلَيل، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م، دار النفير.

* * *

الفهرس

- الإهـداء ٥
- لواء. .ومدخل ٧
- وإشارة استفهام تضيء. . . لماذا التجارب والخبرات؟ ٩
- دوّن. . . فلكل فائدة وقتها ونفعها ١١
- آلية التنفيذ المقترحة للتوثيق ١٣
- رسالة قصيرة ١٥

القسم الأول

في إطار الخبرة الاجتماعية

١ ـ موقفي من الناس ١٩
٢ ـ الحياة الذاتية ٢٢
٣ ـ لا أعرف كالسفر معلماً ٢٦
٤ ـ إنها الثقة بالنفس ٢٩
٥ ـ لعق التراب ٣٤
٦ ـ خلاصات تجاربهم في نقاط ٣٥

القسم الثاني

في إطار الخبرة النفسية

٧ ـ تجربتي الشخصية ٣٩
٨ ـ وعظتني نفسي ٤٢
٩ ـ جذر الشفاء ٤٥
١٠ ـ أعظم درس في حياتي ٤٨
١١ ـ لا تُقَزّم شخصيتك ٥٠
١٢ ـ خلاصات تجاربهم في نقاط ٥٢

القسم الثالث

في إطار الخبرة الفكرية

١٣ ـ بعد الخمسين ٥٧
١٤ ـ مذهبي في الحياة ٦٤
١٥ ـ تجاربي مع الحقيقة ٦٧
١٦ ـ في خياراتنا يكمن نمونا ٦٩
١٧ ـ هذا طريقي للنجاح ٧١
١٨ ـ السعادة تنبع من الداخل ٧٣
١٩ ـ خلاصات تجاربهم في نقاط ٧٥

القسم الرابع

في إطار الخبرة العملية

٢٠ ـ نافذة على حياتي ٧٩
٢١ ـ الأربعون.. شباب الفكر الثاني ٨٩
٢٢ ـ تعلمت من قوائم الكتب ٩٤

٢٣ ـ لا تظاهر بالعداوة أحداً ١٠٠
٢٤ ـ تجربتي الثمينة والقاسية ١٠٢
٢٥ ـ انطلق من أسوأ الظروف ١٠٤
٢٦ ـ أعمق خبرة عشتها ١٠٧
٢٧ ـ ثورة في التغيير ١٠٩
٢٨ ـ خلاصات تجاربهم في نقاط ١١٢

القسم الخامس

في إطار الخبرة التربوية

٢٩ ـ تجربتي وشهادتي ١١٧
٣٠ ـ هذه رؤيتي ١٢٥
٣١ ـ رضا الضمير مفتاح السعادة ١٢٧
٣٢ ـ لمحة يفهمها أرباب الحس السليم ١٣٠
٣٣ ـ خلاصات تجاربهم في نقاط ١٣١

القسم السادس

في إطار الخبرة الدعوية

٣٤ ـ تجاربي في الدعوة ١٣٥
٣٥ ـ موقف علمني الكثير ١٣٩
٣٦ ـ من جذورنا تتفتح الأكمام ١٤١
٣٧ ـ الداء العضال في حياتنا الإسلامية اليوم ١٤٥
٣٨ ـ تجارب وتصورات.. عبر مسيرة الحياة ١٤٩
٣٩ ـ خلاصات تجاربهم في نقاط ١٥٢

القسم الأخير

في إطار الخبرة العامة

٤٠ ـ خطوط عريضة لرؤى الشرق والغرب ١٥٩

النافذة الأولى

رؤى من الشرق

٤١ ـ التماثيل المكسورة.. تُريحهم ١٦٣
٤٢ ـ الأماني.. لعبة عجزٍ وسراب ١٦٤
٤٣ ـ اقرأ آيات السكينة عند اضطراب القلب ١٦٥
٤٤ ـ الإنسان العصري إلى أين؟ ١٦٦
٤٥ ـ أفصح عن آرائك بلباقةٍ واعتدال.. ودون خوف ١٦٧
٤٦ ـ الآراء ليس لها قداسة ١٦٨
٤٧ ـ سجين الفكرة ١٦٩
٤٨ ـ النضج مراحل ١٧٠
٤٩ ـ باب دون باب ١٧١
٥٠ ـ فرقٌ.. وأي فرق ١٧٢
٥١ ـ من جرب مثل تجربتي.. عرف مثل معرفتي ١٧٣
٥٢ ـ الخطة المثلى للبناء والارتقاء ١٧٤
٥٣ ـ غالباً ما تأتي الفرص «متنكرة» ١٧٥
٥٤ ـ ومن العنكبوت نتعلم ١٧٦
٥٥ ـ القدوة تنادينا.. فهل من مُجيب؟ ١٧٧
٥٦ ـ إقبال الناس لا يُطلب.. بل يُوهب ١٧٨
٥٧ ـ ومن هنا نبدأ التغيير ١٧٩

النافذة الثانية

رؤى من الغرب

٥٨ ـ كلام طالما سمعناه.. بَيْدَ أنَّ للجهل عذراً ١٨٣
٥٩ ـ صفتان استهان بهما الناس.. الصراحة والوضوح ١٨٤
٦٠ ـ التوافق والانسجام.. هناءٌ واستمرار ١٨٥
٦١ ـ العيش في اللحظة القادمة.. حرمانٌ وألم ١٨٦
٦٢ ـ داخل حجرات الروح.. إما صراعٌ أو سلام ١٨٧
٦٣ ـ إلى متى نعطي الأشياء أكثر من قيمتها؟! ١٨٨
٦٤ ـ حضانة الفكرة لا خنقها.. نواة الإبداع ١٨٩
٦٥ ـ لا تحقرنَّ من الإنجاز شيئاً ١٩٠
٦٦ ـ لا للجوازم والحدّيات ١٩١
٦٧ ـ على صخرة التردد.. تُنحر المواهب ١٩٢
٦٨ ـ القرار قرارك ١٩٣
٦٩ ـ مؤشرات الرجولة ١٩٤
٧٠ ـ دعوة للسلام الداخلي ١٩٥
٧١ ـ حتى لا تسير في دروب العزلة ١٩٦
٧٢ ـ إذا هِبت أمراً فقع فيه ١٩٧
٧٣ ـ آزرهم من وجدتم.. ولك سهم ١٩٨
٧٤ ـ الزمن.. جزءٌ من المعرفة ١٩٩
٧٥ ـ وتعيها أُذنٌ واعية ٢٠٠
٧٦ ـ خلاصات تجاربهم في نقاط ٢٠١
٧٧ ـ اصدق نفسك.. ..... ٢٠٣

- آراء شخصية ٢٠٤
- نصائح شخصية ٢٠٥
- الخاتمة ٢٠٧
- واعلموا ٢٠٩
- المراجع ٢١١
- الفهرس ٢١٧

* * *

عنوان الكتاب متنٌ..
وكلماتهم هذه..
روحه ومقصده وشرحه

من حق الجيل الذي يأتي بعدنا أن يطَّلع على تجاربنا، وأن يستفيد من خبرتنا إذا وجد فيها ما يفيد، وهذا خير ما نقدمه له من هدية.

«مصطفى السباعي»

لعل من الخير لكم أن تصلوا أعماركم بأعمار المجربين قبلكم.. وبذلك تثمر حياتكم في أقصر وقت ممكن.. ولعل ما توفرونه في استثمار تجارب الآخرين من الوقت، يمثل ما يفيض الله به عليكم، من تجارب لسواكم.

«محمد متولي الشعراوي»

ستبقى التجارب بصائر هادية، تهبك الاتزان إذا أوقعتك الغفلة في غواية، وترسم لك الطريق إذا أردت الصعود.

«محمد أحمد الراشد»

إن من الناس من يختارهم الله فيكونون قمح هذه الإنسانية..
يَنبُتون، ويُحصَدون، ويُطحنون، ويُعجنون، ويُخبزون، ليكونوا غذاء الإنسانية.

«مصطفى صادق الرافعي»

على الإنسان أن لا يستغني عن نتائج تجارب الآخرين، وخبراتهم، لعلها تساعده في إيجاد بعض الحلول ولو كانت بسيطة، أو حتى جزئية، لمشاكله التي تربكه ليل نهار.

«ديل كارنيجي»

غنى التجربة الحياتية أو الإنسانية تسلح الإنسان بالقوة، وبقدر ما تكون التجربة غنية، ومتعددة الجوانب والأبعاد، ترفع الإنسان، وتجعله واسع المدارك.

«مكسيم غوركي»

إذا أردت أن تنجح في حياتك، فاجعل المثابرة صديقك الحميم، والخبرة مستشارك الحكيم.

«جوزيف أديسون»

ISBN 9933-475-93-2
9 789933 475932